مسلم بن عقيل عليهما السلام

بين المسجد الأعظم
ودار طوعة!

تأليف

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

پدید آورنده : اشرف الحسيني ، علي ، ١٣٣٧ ـ
عنوان : مسلم بن عقيل عليهما السلام بين المسجد الأعظم الى دار طوعة!
تكرار نام پدید آورنده : تأليف السيد علي السيد جمال اشرف الحسيني
مشخصات نشر : قم ؛ طوبای محبت ، ١٣٩١.
مشخصات ظاهري : ٤٢٠ص. [پالتویی]
وضعيت فهرست نویسی : فيپا. ISBN: ٩٧٨ـ٦٠٠ـ٦٠٨٥ـ٥٥ـ٥
یادداشت : کتابنامه به صورت زیر نویس.
یادداشت : عربی
موضوع : مسلم بن عقيل عليهما السلام ، ٦٠ق.ـ سرگذشتنامه
موضوع : مسلم بن عقيل عليهما السلام ، ٦١ق.ـ احاديث.
موضوع : واقعه كربلا ، ٦١ ق .
رده کنگره : ١٣٩٠ ، ٥ الف ٥ م/٤ /٤٢ BP
رده دیویی : ٩٥٣٨ / ٢٩٧ شماره مدرک : ٢٣٢٣٤٩٩



مسلم بن عقيل عليهما السلام



بين المسجد الأعظم إلى دار طوعة !

المؤلف : السيد علي السيد جمال اشرف الحسيني

المطبعة : ذاكر

الطبعة : الأولى ١٤٣٣ هـ.ق

الكمية : ١٠٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

قم / بولوار ١٥ خرداد
فرع ٥٧ / جنب مسجد امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام/ رقم ٣٠
شارع چهار مردان / فرع ٦ / رقم ١٥٣
٠٢٥١ ـ ٧٧٨٤٠٨٣ / ٠٩٣٦ ٩٨٩ ٤٤٧٣
www.ketabashura.blogfa.com
E-Mail: ketabashura@hotmail.com

قم / بولوار سميه/ ١٦ مترى عباس آباد / رقم ١١٢
٠٢٥١ – ٧٧٤٠٠٦٦ / ٧٨٣٣١٤٣
٠٩١٢ ٢٥٣ ٤٩٦٨
E-Mail: tobay-mohebat@yahoo.com

البريد الإلكتروني للمؤلف: saliashraf@hotmail.com

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

بين المسجد الأعظم
ودار طوعة!

الحمد لله الذي لا إله إلّا هو الملك الحقّ المبين، المدبّر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير، الأوّل غير موصوف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبية، نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمد خلقهما، فاستقرّت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثم علا ربّنا في السَّماواتِ الْعُلى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى، فأنا أشهد بأنّك أنت الله، لا رافع لما وضعت، ولا

واضع لما رفعت، ولا معزّ لمن أذللت، ولا مذلّ لمن أعززت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت[١].

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِك، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتك عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِك وَرَسُولك، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ، فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِك، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلامِ، وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ

١. بحار الأنوار: ٨٣/ ٣٣٢ باب ٤٥.

الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ[١].

اللّهم وضاعف صلواتك ورحمتك وبركاتك على عترة نبيك العترة الضائعة الخائفة المستذلّة، بقية الشجرة الطيّبة الزاكية المباركة، وأعل ـ اللّهم ـ كلمتهم، وأفلج حجّتهم، واكشف البلاء واللأواء، وحنادس الأباطيل والعمى عنهم، وثبّت قلوب شيعتهم وحزبك على طاعتهم وولايتهم ونصرتهم وموالاتهم، وأعنهم وامنحهم الصبر على الأذى فيك، واجعل لهم أياماً مشهودة، وأوقاتاً محمودة مسعودة، توشك فيها فرجهم، وتوجب فيها تمكينهم ونصرهم، كما ضمنت لأوليائك في كتابك المنزل، فإنّك قلت ـ وقولك الحقّ ـ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ

١. نهج البلاغة: ١٠١ خ ٧٢.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[1].

والعن اللّهم أوّل ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد، وآخر تابع له على ذلك، اللّهم واهلك من جعل يوم قتل ابن نبيك وخيرتك عيداً، واستهلّ به فرحاً ومرحاً، وخذ آخرهم كما أخذت أوّلهم، وأضعف اللّهم العذاب والتنكيل على ظالمي أهل بيت نبيك، واهلك أشياعهم وقادتهم، وأبر حماتهم وجماعتهم[2].

وصلّ اللّهم على حبيبي ومالك رقي وسيّدي وإمامي الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث، والمبارك، والتابع

١. مصباح المتهجّد: ٧٨٥.
٢. مصباح المتهجّد: ٧٨٥.

لمرضاة الله، المتحقّق بصفات الله، والدليل على ذات الله، أفضل ثقاة الله، المشغول ليلاً ونهاراً بطاعة الله، الناصر لأولياء الله، المنتقم من أعداء الله، الإمام المظلوم، الأسير المحروم، الشهيد المرحوم، القتيل المرجوم، الإمام الشهيد، الولي الرشيد، الوصي السديد، الطريد الفريد، البطل الشديد، الطيب الوفي، الإمام الرضي، ذو النسب العلي، المنفق الملي، أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام.

منبع الأئمّة، شافع الأمّة، سيّد شباب أهل الجنّة، وعَبرة كلّ مؤمن ومؤمنة، صاحب المحنة الكبرى، والواقعة العظمى، وعَبرة المؤمنين في دار البلوى، ومن كان بالإمامة أحقّ وأولى، المقتول بكربلاء، ثاني السيّد الحصور يحيى ابن النبي الشهيد زكريا عليهما السلام، الحسين بن علي المرتضى عليهما السلام.

زين المجتهدين، وسراج المتوكّلين،

مفخر أئمّة المهتدين، وبضعة كبد سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، نور العترة الفاطمية، وسراج الأنساب العلوية، وشرف غرس الأحساب الرضوية، المقتول بأيدي شرّ البريّة، سبط الأسباط، وطالب الثأر يوم الصراط، أكرم العتر، وأجلّ الأسر، وأثمر الشجر، وأزهر البدر، معظّم، مكرّم، موقّر، منظّف مطهّر...

أكبر الخلائق في زمانه في النفس، وأعزّهم في الجنس، أذكاهم في العرف، وأوفاهم في العرف، أطيب العرق، وأجمل الخلق، وأحسن الخلق، قطعة النور، ولقلب النبي صلى الله عليه وآله سرور، المنزّه عن الإفك والزور، وعلى تحمّل المحن والأذى صبور، مع القلب المشروح حسور، مجتبى الملك الغالب، الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام[1].

---

١. المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي

الذي حمله ميكائيل، وناغاه في المهد جبرائيل، الإمام القتيل، الذي اسمه مكتوب على سرادق عرش الجليل «الحسين مصباح الهدى، وسفينة النجاة»، الشافع في يوم الجزاء، سيدنا ومولانا سيّد الشهداء عليه السلام[1].

الذي ذكره الله في اللوح الأخضر، فقال: .. وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامّة معه، والحجّة البالغة عنده، وبعترته أثيب وأعاقب[2].

الذي قال فيه جدّه المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وآله: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً[3].

← أشرف: ١٠/ ١١٣.

١. معالي السبطين: ٦١.

٢. كمال الدين: ٢/ ٢٩٠ ح ١.

٣. بحار الأنوار: ٤٥/ ٣١٤.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الصادق الأمين: إنّ حبّ علي قذف في قلوب المؤمنين، فلا يحبّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق، وإنّ حبّ الحسن والحسين قذف في قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين، فلا ترى لهم ذامّاً[١].

فمن أيّ المخلوقات كان أولئك المردة العتاة، وأبناء البغايا الرخيصات، الذين قاتلوه بغضاً لأبيه، وسبوا الفاطميات، ولم يحفظوا النبي صلى الله عليه وآله في ذراريه.

قال الإمام سيّد الساجدين عليه السلام: .. أيّها الناس، أصبحنا مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكابل، من غير جرم إجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، ﴿إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ﴾.

١. المناقب: ٩ /٤٧، بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٨١.

فوالله لو أنّ النبي صلى الله عليه وآله تقدّم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لما إزدادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأوجعها، وأفجعها، وأكظّها، وأقطعها، وأمرّها، وأفدحها، فعند الله نحتسبه فيما أصابنا، وما بلغ بنا، إنّه عزيز ذو إنتقام[١].

ولكنّ الله لهم بالمرصاد، فإنّ دمه الزاكي الذي سكن في الخلد، واقشعرّت له أظلّة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن، وما بينهن، ومن يتقلّب في الجنّة والنار من خلق ربّنا، وما يرى وما لا يرى، سوف لا ولم ولن يسكن، لأنّه قتيل الله وابن قتيله، وثار الله وابن ثاره، ووتر الله الموتور في السماوات والأرض[٢] حتّى «يبعث الله

١. بحار الأنوار: ٤٥ / ١٤٧.
٢. انظر: بحار الأنوار: ٩٨ / ١٥١ باب ١٨.

قائماً يفرج عنها الهمّ والكربات».

قال الحسين عليه السلام: يا ولدي، يا علي، والله لا يسكن دمي حتّى يبعث الله المهدي[1].

فذلك قائم آل محمد صلى الله عليه وآله يخرج، فيقتل بدم الحسين عليه السلام بن علي.. وإذا قام ـ قائمنا ـ انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين[2].

وقد بشّر بذلك رسول ربّ العالمين صلى الله عليه وآله فقال: لمّا أسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربّي ـ جلّ جلاله ـ فقال: يا محمد، إنّي اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها، فجعلتك نبيّاً، وشققت لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً، وجعلته وصيّك وخليفتك، وزوج ابنتك، وأبا ذريّتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلى، وهو علي، وخلقت فاطمة والحسن

١. المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ١٣٤.
٢. بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٦.

والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين.

يا محمد، لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع، ويصير كالشنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم، فما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي.

يا محمد، تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّ. فقال عزّ وجلّ: ارفع رأسك، فرفعت رأسي، وإذا أنا بأنوار علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، و«م ح م د» بن الحسن القائم في وسطهم، كأنّه كوكب درّي.

قلت: يا ربّ، ومن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحلّل

حلالي، ويحرّم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللّات والعزى طريين فيحرقهما، فلفتنة الناس ـ يومئذٍ ـ بهما أشدّ من فتنة العجل والسامري[1].

وروى عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيّدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام في يوم عاشوراء، فألفيته كاسف اللّون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا ابن رسول الله، ممّ بكاؤك؟ لا أبكى الله عينيك.

فقال لي: أو في غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟!

فقلت: يا سيّدي، فما قولك في صومه؟

١. كمال الدين: ١ / ٢٥٢ باب ٢٣ ح ٢، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٩ ح ١٨٥.

فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم، ولو كان في الدنيا ـ يومئذٍ ـ حيّاً لكان صلّى الله عليه وآله هو المعزّى بهم.

قال: وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتّى اخضلّت لحيته بدموعه..

ثم علّمه آداب يوم عاشوراء، وآداب الزيارة في ذلك اليوم إلى أن قال: ثم قل:

اللّهم عذّب الفجرة الذين شاقّوا رسولك، وحاربوا أولياءك، وعبدوا غيرك، واستحلّوا محارمك، والعن القادة والأتباع، ومن كان منهم فخب وأوضع معهم، أو

رضي بفعلهم لعناً كثيراً.

اللّهم وعجّل فرج آل محمد صلى الله عليه وآله، واجعل صلواتك عليه وعليهم، واستنقذهم من أيدي المنافقين المضلّين، والكفرة الجاحدين، وافتح لهم فتحاً يسيراً، وأتح لهم روحاً وفرجاً قريباً، واجعل لهم من لدنك على عدوّك وعدوّهم سلطاناً نصيراً..

اللّهم إنّ كثيراً من الأمّة ناصبت المستحفظين من الأئمة، وكفرت بالكلمة، وعكفت على القادة الظلمة، وهجرت الكتاب والسنّة، وعدلت عن الحبلين اللّذين أمرت بطاعتهما، والتمسّك بهما، فأماتت الحقّ، وجارت عن القصد، ومالأت الأحزاب، وحرّفت الكتاب، وكفرت بالحقّ لمّا جاءها، وتمسّكت بالباطل لمّا اعترضها، وضيّعت حقّك، وأضلّت خلقك، وقتلت أولاد نبيك، وخيرة عبادك، وحملة علمك، وورثة حكمتك ووحيك.

اللّهم فزلزل أقدام أعدائك، وأعداء رسولك، وأهل بيت رسولك.

اللّهم وأخرب ديارهم، وافلل سلاحهم، وخالف بين كلمتهم، وفتّ في أعضادهم، وأوهن كيدهم، واضربهم بسيفك القاطع، وارمهم بحجرك الدامغ، وطمّهم بالبلاء طمّاً، وقمّهم بالعذاب قمّاً، وعذّبهم عذاباً نكراً، وخذهم بالسنين والمثلات التي أهلكت بها أعداءك، إنّك ذو نقمة من المجرمين.

اللّهم إنّ سنّتك ضائعة، وأحكامك معطلة، وعترة نبيك في الأرض هائمة، اللّهم فأعن الحقّ وأهله، واقمع الباطل وأهله، ومنّ علينا بالنجاة، واهدنا إلى الإيمان، وعجّل فرجنا، وانظمه بفرج أوليائك، واجعلهم لنا ودّاً، واجعلنا لهم وفداً[١].

---

١. مصباح المتهجّد: ٧٨٤، بحار الأنوار: ٩٨/ ٣٠٥ باب ٢٤.

والصلاة والسلام على أصحاب الحسين عليه السلام الذين كشف لهم سيّد الشهداء عليه السلام «الغطاء حتّى رأوا منازلهم من الجنّة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها، وإلى مكانه من الجنّة[1]»، ووعدهم ربّ العزّة أن يعيد لهم الكرّة على أعدائهم فقال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ يخاطب بذلك أصحاب الحسين عليه السلام[2].

وصّل يا ربّ صلاة خاصّة نامية زاكية طيبة دائماً على مولاي الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام:

سلام الله العلي العظيم وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وأئمّته المنتجبين، وعباده الصالحين، وجميع

١. علل الشرائع: ١ / ٢٢٩ باب ١٦٣ ح ١، بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٩٧ باب ٣٥ ح ١.
٢. تأويل الآيات الظاهرة: ٢٧٢.

الشهداء والصديقين، والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ورحمة الله وبركاته.

أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حقّ جهاده، وقتلت على منهاج المجاهدين في سبيله، حتّى لقيت الله ـ عزّ وجلّ ـ وهو عنك راض.

وأشهد أنّك وفيت بعهد الله، وبذلت نفسك في نصرة حجّته وابن حجّته حتّى أتاك اليقين.

أشهد لك بالتسليم والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والدليل العالم والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم، فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت، فنعم عقبى الدار. لعن الله من قتلك، ولعن الله من أمر

بقتلك، ولعن الله من ظلمك، ولعن الله من افترى عليك، ولعن الله من جهل حقّك واستخفّ بحرمتك، ولعن الله من بايعك وغشّك، وخذلك وأسلمك، ومن ألّب عليك ولم يعنك، الحمد لله الذي جعل النار مثواهم وبئس الورد المورود.

أشهد أنّك قد قتلت مظلوماً، وأنّ الله منجز لك ما وعدك... قتل الله أمّة قتلتك بالأيدي والألسن.

صلّى الله عليك أيّها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام، صلّى الله على روحك وبدنك.

أشهد أنّك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله المبالغون في جهاد أعدائه ونصرة أوليائه، فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر جزاء أحد ممّن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره.

أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود حتّى بعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً، ورفع ذكرك في العليين، وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

أشهد أنّك لم تهن، ولم تنكل، وأنّك قد مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين، ومتّبعاً للنبيين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المخبتين، فإنّه أرحم الراحمين.

اللّهم ارزقنا زيارة مولانا الغريب الحبيب ما أبقيتنا واحشرنا معه، وعرّف بيننا وبينه وبين رسولك وأوليائك في الجنان.

اللّهم صلّ على محمد وآل محمد، وتوفّنا على الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية

لعلي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ والأئمّة من ولده والبراءة من أعدائهم ..»[١].

أمّا بعد:

قد تناولنا في دراسات سابقة بعض المفاصل المهمّة في تاريخ حياة مولانا الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام من قبيل: «قصّة شراء والدته»، و«قصّة التطيّر»، و«قصّة معقل»، و«قصّة اغتيال ابن زياد في بيت هاني بن عروة رضوان الله عليه»، و«كونه عليه السلام ثائراً أم سفيراً»، و«معركة القصر».

وها نحن نحاول دراسة حركة المولى «بين المسجد الأعظم ودار طوعة» في هذه الرسالة واستكشاف أحداث ذلك اليوم، وربما نوفّق ببركة المولى الغريب لإتمام المسير معه إن شاء الله في الساعات الباقية في الكوفة.

---

١. انظر: المزار لابن المشهدي: ١٧٧، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٢٨، زيارة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

ونحسب أنّ قائلاً يقول: إنّ النتائج التي خرجت بها البحوث نتائج خطيرة، قد تخالف المشهور، بل المتّفق عليه تاريخياً، فعلى أيّ أساس استندت، ومن أيّ عين انتهلت حتّى بلغت إلى ما بلغت وانتجت ما انتجت؟! وكنت من قبل قد سوّدت وريقات في تحديد المنهج والأسس التي عليها يقوم البحث ويقبل الحدث التاريخي أو يردّ، فأحببت أن أعرضها هنا مختصرة مقتضبة أشبه ما تكون بالعناوين والفهارس منها إلى البحث والتقرير، لتكون في متناول الأخوة، ويعرف من يقرأ هذه البحوث أنّنا لم نناقش بإذن الله وبركة أهل البيت عليهم السلام الأحداث فنثبت أو ننفي أو نتوقّف تشهياً واعتباطاً.

والمفروض أنّ من يقرأ المدخل سيقتنع بالنتائج إذا اقتنع بالمقدّمات والأسس.

ويعلم الله ويشهد سيّد الشهداء عليه السلام والمولى الغريب أنّنا تحرينا الاحتياط

وقصدنا خدمة أهل البيت عليهم السلام وعزمنا الدفاع عن حريمهم وقداستهم، وكلّ ما ينسب إليهم، فإن وفّقنا في ذلك فهو فضلهم ومنّهم وفيضهم وبركاتهم، وإلّا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر من أحسن عملاً، إنّه عفو جواد كريم، وهو نعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد.

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

٢٠ / ٣ / ١٤٣٣

المدخل[١]

يمكن وضع المعالم والشواخص ورسم الحدود التي يمكن أن تضبط حركتنا على صفحات التاريخ وتجعلنا نقبل أو نردّ أو نتوقّف ونحن واثقون في كلّ حدث يتعلّق بتاريخ أهل البيت عليهم السلام عامّة وسيّد الشهداء خاصّة ومولانا مسلم بن عقيل على الأخصّ.

وهذه الحدود والضوابط ربما تداخلت بعضها ببعض غير أنّنا فصّلناه لتوضيح البيان أكثر، ومنها:

١. نقلنا المدخل من كتابنا «معركة القصر!»، فربما لا يجتمع الكتابان عند قارئ واحد.

أولاً:

اتّهام النصّ التاريخي

النصّ التاريخي المجرّد عندنا متّهم وقابل للمناقشة حتّى تثبت صحّته بغضّ النظر عن السند.

أمّا البحث السندي فيه فيكون فيه حالات:

الحالة الأولى:

صحّة السند والمتن[1] وفق الموازين المقرّرة التي ستأتي في ثنايا هذا المدخل، فيكون السند قرينة وشاهداً على الصحّة ومقوّياً لها.

---

١. نقصد بالسند والمتن هنا السند والمتن التاريخي، ولا نقصد بها أسانيد الحديث الشريف، والروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فإنّ لهذه الأسانيد والمتون بحوث وموازين خاصّة بها عند الفقهاء وعلماء الدراية، ولنا فيها كلام يختلف تماماً عمّا نذكره هنا.

الحالة الثانية:

أن يكون السند التاريخي صحيحاً باعتبارات المؤرّخين والمتن فاسداً وفق الموازين المقرّرة، فلا قيمة للسند ولا المتن.

الحالة الثالثة:

أن يصحّ المتن ويضعف السند فلا قدرة للسند حينئذٍ على إسقاط المتن لتصحيحه وفق الموازين وموافقته لها، وغاية ما يفيد ضعف السند تشكيل ثغرة يمكن لمن أراد التشكيك أن يستند إليها.

الحالة الرابعة:

أن يكون السند والمتن فاسداً فيكون فساد السند قرينة وشاهداً على فساد المتن.

ثانياً:

ارتكاز المؤرّخ على بنائه العقلي

إنّ المؤرّخ مهما كان لابدّ أن يكون مرتكزاً

إلى سوابقه ومرتكزاته وبنائه العقلي والعقائدي والنفسي وغيرها من المؤثرات في إدراك الحدث وفهمه وتقييمه وطريقة صياغته، سواء كانت مرتكزاته اعتقادية أو تربوية أو نفسية أو بدوافع الأهواء والطمع بما عند السلطان أو غيره.

ولا نتصوّر ما يسمّونه بالموضوعية والتجرّد في طريقة صياغة الحدث عند غير المعصوم، ولو وجد فهو أندر من النادر، بل ربما لا يكون أبداً، فكلّ من يشهد حدثاً ويرويه فهو يشهده ويرويه بمنظاره الخاصّ ووفق موازينه ومدركاته ومرتكزاته ومستوى فهمه.

ويحقّ لمن يقرأ الحدث ويريد أن يصوغه بطريقته الخاصة البحث والتأمّل لاكتشاف مرتكزات الراوي، ثم مناقشته وفق مرتكزاته العقائدية التي يعتقدها حقّاً، ثم يصوّره ويصوغه من جديد، أو يتوقّف فيه

أو يرفضه ويردّه، بناءاً على موافقته أو مخالفته لمعتقداته ومرتكزاته.

ثالثاً:

أخذ ما وافق الشروط المقرّرة

المؤرّخ وإن كان متّهماً فيما يرويه لاختلاف المرتكزات أو اتهامه بالكتابة للسلطان الجائر على الأقل، فإنّه وراويه لا يعدّ كاذباً مطلقاً، كما لا يفترض فيه العصمة، فربما نقل لنا خبراً وحدّثنا حديثاً يخلط فيه الواقع بما يحقّق رضا السلطان وأغراضه أو يوافق معتقدات المؤرّخ وأهوائه، والحسم في التمييز العرض على الثوابت المقرّرة، فما احتواه الخبر ممّا يوافقها فهو مقبول، وما خالفها فهو متوقّف فيه أو مردود.

وبناءاً على هذا ربما يكون في الخبر الواحد ما يردّ وما يقبل وفق الموازين المقرّرة لا اعتباطاً وتشهياً وتحكيماً للهوى.

رابعاً:

طرح ما خالف الأصول الاعتقادية

تعدّ المتبنّيات العقائدية والأصول الموضوعة في العقيدة كبديهيات ترجع إليها كلّ علوم الدين وما يتعلّق بتاريخ الإسلام وشريعته...

فإذا ورد أيّ حدث يخالف صراحة ما نعتقده من ضروريات المذهب الحقّ، ويكون غير قابل للتأويل بما ينسجم معها، فهو مطروح:

مثاله ما يرويه معاوية من اختلاف وهجران بين أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في شؤون الدنيا، وأنّ معاوية أصلح بينهما، فهذا الخبر مرفوض مردود نضرب به عرض الجدار بقوّة ولا كرامة، لتعارضه مع اعتقادنا الضروري بعصمتهما، وبحاجة الخلق إليهما،

وعدم احتياجهما إلى أحد...

خامساً:

أن لا يخالف التاريخ حديث أهل البيت عليهم السلام

يشترط في الخبر التاريخي أن لا يخالف الحديث الشريف المروي عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فإنّ الحديث المروي عنهم بطرقنا ـ بغضّ النظر عن كونه نصّاً معصوماً وما يترتّب على ذلك ـ فإنّه يبقى في أقلّ التقادير نصّاً تاريخياً ينتسب إلى المعصوم عليه السلام، فإذا تعارض المؤرّخ كابن سعد والطبري والبلاذري وغيرهم مع ما يرويه الكليني والبرقي والصدوق وغيرهم عنهم عليهم السلام، فإنّنا نقدّم ما يرويه أعلامنا، ضمن الأصول المقرّرة.

سادساً:

أن لا يخالف المسلّمات القطعية

يشترط في النصّ التاريخي أن لا يخالف مرتكزاتنا القطعية بالأشخاص والوقائع، فلو روى لنا التاريخ ما يفيد ـ ولو إشارة ـ جبن أحد الأولياء أو فراره من الزحف غير متحيّز إلى فئة أو ارتكابه ما لا يليق بالمؤمن سيما إذا كان الخبر غير قابل للتأويل بما يناسب شخصية ذلك الولي.

أو يروي لنا التاريخ ما يخالف المسلّم التاريخي الثابت عن أهل البيت عليهم السلام كتقييم شخص أو رضاهم عنه أو سخطهم عليه.

فمثلاً ثبت لنا تاريخياً تقييم سيّد الشهداء عليه السلام لمولانا مسلم بن عقيل عليه السلام وأنّه ثقته ومعتمده وشهد له بالفضل، فكلّ ما سال به لعاب القلم التاريخي ممّا يخالف هذا التقييم والشهادة فهو مرفوض مردود.

ومثال آخر: فإنّ معرفتنا القطعية بشجاعة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام وإقدامه وشهامته ووفاءه وبطولته وثباته واستقامته وغيرها من محامد الأخلاق ومعاليها، وجميل الصفات وساميها، فإذا ورد في التاريخ ما يدعو للريب فيها أو الطعن أو محاولة إثبات خلاف ذلك من غير إمكان التأويل في تعبير المؤلّف، فهو مرفوض مردود إلى نحر قائله من دون خوف ولا تردّد، فالقداسة والحصانة ثابتة لأولياء الله، والتجاسر عليهم أو رميهم بما لا يليق بهم عاقبته في غاية الخطورة، ولا يأمن العقاب عليه، والحال أنّ المؤرّخ لم تثبت له قداسة ولا حصانة، فهو عار عنها خال منها حتّى نتبيّن ذلك فيه.

ومثال على الوقائع: ثبت تاريخياً وشرعياً أنّ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام استشهد يوم العاشر من المحرم الحرام، فإيّ نصّ تاريخي

خالف هذا المسلّم التـاريخي لا قـيمة له ولا يصحّ الاعتماد عليه والاستدلال به.

سابعاً:

أن لا يكون دفاعاً عن الظالم

أن لا يكون في كـلام المـؤرّخ مـا يكـون دفاعاً عن ظـلم الظـالم، وتـبريراً لمـواقـف السلطان الجائر الحاكم، وطمساً لمـظلومية المظلوم، وتصويراً للحدث بما يخدم صاحب البلاط والأجير والمأجور.

ففي مثل هذه الحالات نـتريث، ثم نجـمع الشواهد، وندرس القرائن، ونحلّل المواقف، فربما كان أصل الحدث قـد حـصل وفـعله السلطان غـير أنّـه كـان مـوقفاً يـراد له أن يســجّل في التــاريخ لتــحقيق الأغـراض المنشودة، فحينئذٍ قد نقبل صـدور الحـدث بشرط أن يكون ضمن بيان دوافعه بحيث لا يشكّل تزكية للظالم أو إثباتاً لفضيلة له هـو عار عنها ممنوع منها.

وكذا إذا حدّثنا التاريخ بما يثبت منقبة لعدوّ الله في موقف يثبت فيه ما لا يـليق أو بـضدّ تلك المنقبة لولي أهل البيت عليهم السلام.

ثامناً:

أن لا يخالف إجماع الشيعة

أن لا يخالف بديهة من بـديهيات الشـيعة والمجمع عليه بينهم وما اتّفقوا عليه بشرط أن يكون المـشهور المـتّفق عـليه في الأعـصار والأمصار غير مـعتمد عـلى نـصّ تـاريخي معروف، وهو ما قـد يـطلق عـليه بسـيرة المتشرعة، كأن يشتهر عندهم عـن طـريق التناقل بالصدور كابراً عن كابر، أو استناداً إلى مـــا روي عـــندهم عـن طـريق أهـل البــيت عليهم السلام وإن كـــان بـــالموازيـن الفـنية التخصصية يسمّى ضعيفاً.

فإذا كان إجماعهم واتـفاقهم مسـتنداً إلى

نصّ تاريخي لمؤرّخ معروف، فقيمته قيمة ذلك النصّ التاريخي مضافاً إليه قيمة جديدة تسنده وتجعله أقوى نسبتاً من النصوص الأخرى، وهي قيمة استناد الشيعة إليه.

فقد وردت الأخبار في التاريخ تقرّر أنّ المباشر لقتل سيّد الشهداء عليه السلام هو سنان ابن أنس، كما وردت أخبار تقرّر أنّه شمر بن ذي الجوشن، فاشتهار الثاني عند الشيعة إن كان ناشئاً من الاعتماد على الأخبار الواردة في ذلك فحسب، تكون الشهرة بينهم مرجّحاً قوياً.

أمّا إذا كان النصّ المعتضد بالمشهور عند الشيعة يلزم منه إحدى المحاذير السابقة، ويؤدّي إلى اختارق الحدود المرسومة، فحكمه تماماً حكم أيّ نصّ تاريخي آخر، حيث يكون معرّضاً للنقاش، ومحلّاً للردّ والقبول، وخبراً قابلاً للتصديق والتكذيب.

تاسعاً:
استكشاف بعض الأحداث من الوقائع

يمكن لمن قرأ التاريخ بتأمّل أن يجمع عدّة أحداث يرويها المؤرّخون متفرّقة ضمن عرض صورة واحدة، فيجعلها مقدّمات لاستخلاص نتيجة تكون قوّتها بقوّة مقدّماتها.

فإذا كانت الأحداث متّفق عليها وعلى نسبة عالية من القوّة على صفحات كتب المؤرّخين تكتسب النتيجة نفس القوّة والمتانة بالرغم من عدم ذكر المؤرّخ لها.

فربما أخفاها المؤرّخ عامداً قاصداً لتحقيق غرض ما، أو غفل عنها دون قصد، أو أعرض عنها اختصاراً وما شاكل.

مثل:

المقدّمة الأولى:

روى المـؤرّخون أنّ سـيّد الشهـداء عليه السلام جـعل فسـطاطاً في مـقدّمة مخـيّمه وجـعله للشهداء.

المقدّمة الثانية:

روى المؤرّخون أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان يـنقل الشهـــداء، ســيّما الشهـــداء مـــن آل البيت عليهم السلام إلى ذلك الفسطاط.

المقدّمة الثالثة:

إنّ الشهـــداء كـــانوا يحـملون إلى المخـيم ورؤوسهم على أبدانهم، ولم يستشهد بقطع الرأس منهم إلّا أفراد معدودين، وربما كانوا خمسة لا أكثر.

المقدّمة الرابعة:

إنّ ابن سعد ـ لعنه الله ـ أمر بقطف الرؤوس صباح اليوم الحادي عشر ليجهّزها ويرفعها على الرماح.

النتيجة:

إنّ القوم هجموا على مخيم الحسين عليه السلام بعد صدور أمر اللعين، وجعلوا يقطعون رؤوس الشهداء على مرأى من العلويات والنســاء، فيجلس اللعين على صـدر عـلي الأكـبر أو القاسم بن الحسن وو.. ويـعمل خـنجره أو سيفه أو سكينه بعنف في عنق الشهيد حـتّى يحتزّ رأسه، وأمّه وبـاقي العـلويات وقـوف ينظرن إلى هذا المشهد المـروّع الذي يـزيل الجبال عن مستقرّها، ويصدع الفؤاد ويزهق النفس ويستلّ الروح استلالاً...

يا لها من مصيبة ما أعظمها! غـير أنّهـا لم يذكرها أيّ واحد مـن المـؤرّخين ـ حسب فحصنا ـ، فـهذا الحـدث العـظيم الجسـيم مستنتج من تلك المقدّمات، وليس لأحد أن يعتبره لسان حال، أو خيال، وإنما هو واقع أدّت إليه الوقائع وأثبتته المقدّمات.

عاشراً:

تفصيل المختصر

ربما اختصر المؤرّخ حدثاً كاملاً أو أحداثاً في عبارة لأيّ غرض من أغراضه، وحينئذٍ يمكن فكّها والاستفادة منها، ونثر ما في بطنها، ليخرج منها أحياناً عسكر كامل، أو حرب بكلّ تفاصيلها، وسيأتي في ثنايا الكتاب مثل لذلك[١].

الحادي عشر:

فكّ رموز كلام أهل البيت عليهم السلام

يلاحظ أنّ أهل البيت عليهم السلام عوّدونا على التعبير عن الأحداث التاريخية بعبارات مختصرة جدّاً، أو أشاروا إليها بأسلوب التشفير والترميز، أو دمج الأحداث الضخمة

١. انظر: تقسيمات قطعات عسكر ابن زياد.

الكبيرة وضغطها في رموز وألفاظ جزلة قويّة عميقة لا تتعدّى الجملة المكوّنة من ثلاث أو أربع كلمات، بل قد تكون كلمة أو كلمتين، بيد أنّها تحكي حدثاً يستوعب صفحات كثيرة إذا ما فكّت الرموز، وذلك للتقيّة أو لأسباب أخرى:

كقولهم: «سبينا سبي ترك وكابل»، أو «سبينا كما يسبى الديلم».

أو قولهم: «ذبح جدّي الحسين عليه السلام كما يذبح الكبش».

أو قول الرضا عليه السلام: «يوم عاشوراء أذلّ عزيزنا»...

أو خطب الصديقة الصغرى عليها السلام، وخطب سيّد الساجدين عليه السلام، وخطب الإمام سيّد الشهداء عليه السلام وهكذا..

الثاني عشر:
ملاحظة تفرّق الحدث

يلاحظ تفرّق الحدث عند المؤرّخ أحياناً كثيرة، فهو يستعرض حركة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام مثلاً من مكة إلى الكوفة ضمن عرضه لحركة قيام سيّد الشهداء عليه السلام، فيذكر انطلاقه من مكة وهو يتحدّث عن أيام إقامة سيّد الشهداء عليه السلام في مكة، ثم يغيّب المشهد أحداث حركة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ويستمر في الحديث عن قيام سيّد الشهداء عليه السلام وغيره من الأحداث، ثم يعود للحديث عن المولى، ممّا يؤدي إلى تشتّت الذهن وفتح المجال لتسريب الأكاذيب أو التلاعب بالحدث.

الثالث عشر:
الاستناد إلى غير المصادر العربية

للدارس أو الباحث والمحقّق أن ينفلت من طوق الاقتصار على المصادر العربية للوصول إلى الأحداث والوقائع أو الحقائق التاريخية، فإنّ لكلّ أمّة طريقها إلى التاريخ، وربما سجّلت بطرقها أحداثاً لم تكن في مرمى النظر للراوي الذي يعتمده المؤرّخ الكاتب بالعربية، أو أنّه رصد ما لم يهتم به الراوي الآخر، أو لم يلتفت إليه، فما رواه المؤرّخ البريطاني وسجّله من «مطر السماء دماً في بريطانيا يوم عاشوراء» لا يمكن للمؤرّخ الذي يعيش بالجزيرة أو العراق أن يسجّله في نفس يوم عاشوراء من تلك السنة، لأنّه خارج عن مرمى نظره ونظر راويه....

فلماذا لا نعتمد أو على الأقلّ نستشهد

بالمصادر الفارسية والتركية والأردوية، بل حتّى الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات والأمم.

قال الشيخ المحقّق عبد الواحد المظفر في كتابه بطل العلقمي:

«وكأنّي أسمع بعض القرّاء لكتابنا هذا من منتحلي الثقافة ومدّعي التنوير، وزمرة من التجدّديين الذين لا يريدون إثبات فضيلة لأهل هذا البيت النبويّ المفخّم، وفئة من المتفقّهين بلا معرفة وتمييز، وهناك فئام يضرعون لأوهام وخيالات يسمّونها بالعقول، والعقول بريئة من كلّ فكر سطحيّ وخيال وهميّ، سيقولون إذا مرّوا بهذه الحكايات: كيف اعتمد مؤلّف كتاب "بطل العلقميّ" في نقل هذه الحكايات على الكتب الفارسيّة والتواريخ الأعجميّة ومؤلّفوها يتمسّكون بالواهيّات ويعتمدون المراسيل...، ولو شهد العبّاس بن عليّ عليهما السلام

صفّين وكان في صفّ المحاربين لذكره المؤرّخون أساتذة فنّ التاريخ كالطبريّ والجزريّ والمسعوديّ وأضرابهم؟!

فيظنّ من لا معرفة له ولا إلمام بحقائق الأشياء أنّ هذه المقالة مبتنية على أساس محكم وبناء مرصّف في ركن وثيق، وهي لدى التحقيق على جرف منهار قد جرفه السيل، وعلى رأس منار متداعي الأركان قد زعزعته العواصف وهدّته القواصف.

المؤرّخون الذين لهم شهرة لم يضبطوا كلّ حادثة، ولم يقفوا على كلّ قضيّة من القضايا التاريخيّة، فبعض الوقائع قد وصل إليهم نبؤه وبعضها لم يصل، والذي لم يصلهم أكثر ممّا وصل إليهم، وقد فات الطبريّ ما استدركه عليه الجزريّ، وذكر المسعوديّ مالم يذكره اليعقوبيّ، وهكذا، فما وصل إليهم فقد ذكروه، وما لم يصل إليهم لم يبق في طيّ الخفاء المظلم، بل برقت بارقة من ذلك العلم

فأضاء لطالبيه وأسفر لرائديه، فاقتضبوا منه شارده، وأحتبلوا قنيصه، فكان كالمستدرك على من فاته العلم به.

وقد استدرك الحاكم النيسابوريّ على صحيحي! مسلم والبخاريّ من الأحاديث الصحيحة على شرطهما ما ساوى حجم الكتابين معاً، والصحاح! الباقية الأربعة أو الثمانية بناء على جعل الصحاح! عشرة عندهم كالاستدراك أيضاً على الصحيحين هذا من ناحية أهل السنّة والجماعة.

وأمّا من ناحية أهل التشيّع فقد استدرك الميرزا النوريّ على وسائل الشيعة للحرّ العامليّ ما ساوى حجمها.

فليكن ما رواه هؤلاء العلماء من الأعاجم كالمستدرك على التواريخ المشهورة، وليست بأقلّ من متفرّدات الأغاني لأبي الفرج»[1]....

١. بطل العلقمي للمظفّر: ٢ / ٢٤٠.

النتيجة

تبيّن ممّا مرّ: أنّ التر والشاقول الذي يقاس إليه التاريخ فيردّ إليه الزائد ويلحق به الناقص، والميزان الذي على أساسه يقوّم الحدث التاريخي المروي إنّما هو:

١. كتاب الله.

٢. سنّة النبي ﷺ والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

٣. الاعتقادات الضرورية الحقّة.

٤. المرتكزات الموافقة للحقّ.

فما وافق كلام أهل البيت عليهم السلام أو لم يخالفه قبلناه (ومنه تتألّف منظومة العقائد والمسلّمات والمرتكزات الحقّة).

وما خالف ذلك فهو ساقط لا يعتمد عليه ولا يعتدّ به، ولا يستدلّ له.

المقدّمة

تواجـهنا ثـغرة مـهمّة، ومـنطقة غـائمة، ومسافة زمنية معتّم عليها بالكامل في الأيام الأخيرة من حياة الشهيد الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، تمتدّ مـن نـزول الظـلام عشـية معركة القصر! إلى وقوفه على باب طـوعة رضوان الله عليها.

ويــرى السـائر عـلى صـفحات التـاريخ اختفاءاً مفاجئاً ومحيّراً لجماعة من المـقرّبين والأعمدة الذين كان يـعتمد عـليهم المـولى الغريب مسلم بـن عـقيل عليه السلام، لا يمكـن أن يقرّر في حقّها أنّها خذلت مسلماً بتاتاً، من أمــثال مســلم بـن عـوسجة وأبي ثمـامة

الصائدي وحبيب بن مظاهر وغيرهم ممّن التحق فيما بعد بركب سيّد الشهداء عليه السلام، وفاز بالشهادة بين يديه.

***

جرى ما جرى بعد حصار القصر! وخروج الناس إلى حوالي القصر، وهروب ابن زياد واعتصامه بالقصر، فتفرّق الناس تحت جنح الليل، وخلف ستار الظلام الهابط عند الغروب، وآثار الدعاية والحرب النفسية والوعد والوعيد، والاستسلام للخوف والدعة وشلل الإرادة وغير ذلك ممّا ذكرناه عند دراستنا لمعركة القصر، وعادة العساكر ـ يومذاك ـ أن تترك الحرب إذا جنّها الليل البهيم.

ولكن رجال سيّد الشهداء عليه السلام لا يداخلهم خوف، ولا يعتريهم شكّ ولا ريب، ولا يخرجون من دائرة القدس، وهم يستأنسون

بالموت دون إمامهم وسفيره استئناس الطفل بصدر أمّه، فأين صار في تلك الساعات الرهيبة هؤلاء الأطياب الأطهار الذين شروا أنفسهم لله، وخرجوا إلى سيّد الشهداء عليه السلام مخاطرين بأنفسهم وأهليهم.

لم يحدّثنا التاريخ بصراحة عمّا جرى بعد معركة القصر! ويترك لنا الثغرة التاريخية التي تغطّي المسافة الزمنية بين معركة القصر! وتفرّق أصحاب مسلم عليه السلام المقرّبين.

والصورة التي ينقلها لنا التاريخ قابلة للتأمّل والمراجعة، وتحتاج إلى وقفة طويلة نستكشف خلالها ـ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ـ أربعة مواقف:

الموقف الأوّل: موقف أنصار مسلم بن عقيل عليهما السلام المقرّبين والشيعة المخلصين.

الموقف الثاني: موقف الغوغاء والأكثرية التي خانت العهد ونكثت البيعة وخذلت المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام.

الموقف الثالث: موقف ابن زياد وأعوانه

الموقف الرابع: موقف المولى الغريب. مسلم بن عقيل عليه السلام وما جرى له تلك العشية.

خبر الساعة الأخيرة

لقد امتلأت الكوفة خلال ساعات بالخيل والرجال وارتفعت فيها الزعقات وأصوات الأبواق وصهيل الخيل وقعقعة السلاح، وازدحمت واكتظت بالأحداث والمفاجآت، واختلطت فيها المواقف والاتجاهات، وتداخلت فيها العساكر واشتبكت فيها الأهالي والمدنيين والجيوش والعساكر من نظاميين وغير نظاميين، وتعالت فيها أصوات الخطباء محذّرين ومنذرين يتوعّدون ساعة ويهددون، ويمنّون أخرى ويخذلون.

وعلى حين غرّة «أمسى ابن عقيل» وصلّى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وما معه إلّا أولئك النفر، خرج من المسجد متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان، فالتفت، فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ.

فمضى على وجهه متلدّداً! في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: «طوعة»...

وهكذا ينتهي العسكر الذي ملأ الكوفة خيلاً ورجالاً، وهزّ الأجواء ضجيجاً وعجيجاً، وأرعب ابن زياد حتّى اعتصم بالقصر، وامتلكته الوحشة، وداخلته الهيبة والرهبة، تفرّقت الجموع، وتشتّت

العساكر، وانخرمت كما تنسلّ الخرز من السلك إذا انقطع...

فكيف يبقى مسلم عليه‌السلام وحيداً لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ؟ وهل كان هؤلاء النفر الذين بقوا معه من الصادقين الأوفياء من أمثال مسلم بن عوسجة، فكانوا ثلاثين، ثم صاروا عشرة، ثم ذابوا على حين غرّة، وكأنّ الأرض ابتلعتهم، أو السماء رفعتهم؟!

وكيف لا يعرف مسلم بن عقيل عليهما‌السلام طريق منزله، وهو منذ أيام طويلة في الكوفة، وقد سكنها من قبل مع عمّه أمير المؤمنين عليه‌السلام؟

وأسئلة أخرى كثيرة تدور حول هذه الساعات التي اكتنفها الغموض، وشوّشها المؤرّخ بقلمه وحديث رواته، وصوّرها لنا كما يشاء بعد أن صفت له الكوفة، ولم يعد فيها من ينقل مجريات الأحداث إلّا من

اتّخذوا لعاب القرد الأموي دواة وذيله مداداً.

ثغرات الخبر

يلاحظ المراجع للتاريخ بأدنى تأمّل ثمّة ثغرات في خبر بقاء المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وحيداً تدعوه للريب في الخبر والاطمئنان بوجود التعمية والتلاعب في سير الأحداث بما يحقّق غرض المؤرّخ أو من استأجره!

قال الشيخ أسد حيدر رحمه الله في كتابه «مع الحسين عليه السلام في نهضته»:

ظهر التصدّع في صفوف جيش مسلم، وبان الانقسام بعد التخاذل الذي أحدثته الدعاية والحرب النفسية، ولم يبق معه إلّا خمسمائة رجل ـ كما قدّمنا ـ وهنا تقع أسئلة واستفسار عن مجرى الحوادث في هذا المجال، من محاصرته للقصر إلى أن حوصر

هو في محلّة كندة، عندما وافاه جيش الكوفة بقيادة محمد بن الأشعث.

فهل يصحّ أنّ مسلماً عندما تفرّق أصحابه وأتباعه وبقي في خمسمائة من أصحابه، صلّى المغرب وليس معه إلّا ثلاثين، فلمّا خرج من المسجد ليس معه إلّا عشرة، فلمّا خرج من كندة وليس معه رجل يدلّه على الطريق؟!

أجل! أين المخلصون من أنصاره[1]؟!....

ثم يسترسل ويقول بعد قليل:

ونعود إلى الحلقة المفقودة من تاريخ هذا الحادث العظيم، فحين نترك مسلم بن عقيل يخوض معركة قويّة، وقد ضرب الحصار على ابن زياد، وأقام الكوفة وأقعدها، فمن حقّنا أن نتسائل: إنّ زعيم جبهة قوّية، وقائد جيش عربي فيه أبطال من رجال الكوفة، كيف انهارت تلك الجبهة بهذه

---

١. مع الحسين عليه السلام في نهضته: ١١١.

السرعة، ويهزم ذلك الجيش ويبقى مسلم بمفرده، وليس معه أحد يدلّه على الطريق؟!

فلنطو صفحة هذا العرض ونلتقي ببطلنا المجاهد في حرب الشوارع[1]!!!

الثغرة الأولى: وحدته عليه السلام في الازدحام

كيف يبقى وحده لا يجد من يدلّه على الطريق في خضمّ تلك الساحة الملتهبة، والعساكر المتشابكة، والمنطقة المزدحمة بالخيل والرجال والنساء والعوائل ـ وفق روايات «أنّ المرأة كانت تأتي ابنها وتأخذ بيده» ـ والكبار والصغار والمدنيين والعسكريين....

فلا ندري كيف يمكن للمؤرّخ أن يصوّر لنا وحدته على باب مسجد الكوفة، وعلى مقربة من قصر الخبال الذي تدور حوله رحى الأحداث، وتحيطه الخيل والرجال؟!

١. مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ١١٣.

والحال أنّ بعض العبارات تعرضه وكأنّه عليه السلام يمشي في الكوفة وقد دخلها على حين غفلة من أهلها، وكأن ليس في الكوفة ديّار أبداً، كقول الطبري مثلاً: «فلمّا رأى مسلم أنّه بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً ...».

وقول الدينوري: «فأخذ نحو كندة فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق»..

وقول من وصفه يتلدّد في الطرق يفيد بوضوح خلوّ الطرقات من المارّة...

الثغرة الثانية: تشخّص مسلم عليه السلام

كان المولى مسلم بن عقيل مميّزاً في كثير من صفاته وخصاله، فهو من حيث الصورة والهيئة ذو وجه صبيح مليح تشعّ منه الأنوار المحمدية، والتقاسيم الهاشمية، والمعالم الطالبية، والسحنة الحجازية.

فقد روى البخاري في التاريخ الكبير عن أبي هريرة، قال:

ما رأيت من ولد عبد المطلب أشبه[١] بالنبي صلى الله عليه وآله من مسلم بن عقيل[٢].

فكيف يغيب من كان أشبه بني عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وآله بين الناس، وهو المطلوب الأوّل لابن زياد وجنده، بل ومن انقلب عليه من الخائنين؟

وكيف يغيب عنهم وهو لا زال فارساً في زيّ المحارب، وقد لبس لامته وتدرّع بدرعه، واعتدّ بعدّته، وأثخن بالجراح كما في رواية ابن أعثم.

١. يحمل كلامه على النسبية وقصد التوصيف للمولى الغريب، وإلّا فالمشبّهون بالنبي صلى الله عليه وآله أكثر من ذلك، كالإمامين الحسنين، وأمّهم سيّدة نساء العالمين فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله، وجعفر بن أبي طالب وعلي بن الحسين الأكبر..

٢. التاريخ الكبير للبخاري: ٧/ ٢٢٦.

قال الشيخ أسد حيدر رحمه الله في كتابه «مع الحسين في نهضته» تحت عنوان «الحلقة المفقودة» بعد كلام له:

أجل أين المخلصون من أنصاره؟

ثم كيف يستطيع مسلم أن يخرج بمفرده وجواسيس ابن زياد تلاحقه، فكيف غفلوا عنه ويخرج سائراً في أزقّة الكوفة، ولا يعرفه أحد؟[١]

التغرة الثالثة:

لِمَ لم يقتلوه وهم يطلبونه؟

بناءاً على ما ذكر في الثغرة الأولى والثانية يكون المولى مسلم بن عقيل عليه السلام مميّزاً بين تلك الجموع بالشكل والهيئة واللهجة والسحنة وصباحة الوجه والجراح التي أثخنته.

وتكون الساحة التي أحاطت بالمسجد

١. مع الحسين عليه السلام في نهضته: ١١١.

وقصر الخبال ـ ميدان الحدث ـ مزدحمة غاية الازدحام، وعساكر ابن زياد السابقة والمسوخ المتخاذلة التي تخلّفت عن البيعة والتحقت بعسكر السقيفة، بل حتّى المتفرّجين والمتخاذلين والناس كلّهم أجمعين في تلك اللحظة يطلبون المولى الغريب، فكيف غفلوا عنه؟ ولم يتكاثروا عليه ويقاتلوه أو يأسروه إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؟

وهذا ابن الأمة الفاجرة يأخذ على الظنّة والتهمة، ومشهد المولى الغريب هنا يدعو إلى الريبة والشكّ حتّى لو لم يعرفوه، فهو خارج عسكر السقيفة، مثقل بالجراح ببزّته الحربية!

الثغرة الرابعة: فرية التلدّد

ورد في المصادر التاريخية التعبير عن المولى أنّه خرج من المسجد متلدّداً في

شوارع الكوفة وأزقّتها، ويمكن أن يناقش هذا الزعم من خلال عدّة ردود:

الردّ الأوّل: معنى التلدّد

في لسان العرب لابن منظور: تَلَدَّدَ: تَلَفَّتَ يميناً وشمالاً وتحيّر مُتَبَلِّداً.

وفيه أيضاً: «التلَدُّدُ: التلفت يميناً وشمالاً تحيّراً».

في كتاب العين: التلدّد في التلفّت: أن يعطف بعنقه مرّة كذا ومرّة كذا.

والتلدّد فعل يحصل نتيجة لباعث ما، وتصرّف يبرز على الأطراف والحواس، كغاية لما يعتمل في الكوامن، ويجيش في الوجدان والضمير، وتعبير عن الباطن الذي يكتشف بمثل هذه الأفعال.

ومن هنا ينبغي أن نعرف البواعث على التلدّد لنعرف هل يصحّ نسبته إلى كبير آل عقيل؟

الباعث الأوّل:

الخوف والتماس موضع للاختفاء:

في هذا المعنى يرسم المؤرّخ للبطل الهاشمي الطالبي صورة الفزع الخائف الذي يبحث عن مفرّ ومهرب يؤمنه من الموت ومواجهة الرجال، وينجيه من أهوال القتال، كما صرّح بذلك ابن سعد وغيره حينما عبروا عنه أنّه هرب ـ نستغفر الله ممّا يقول الجاهلون المعتدون ـ.

صورة يتنكّر لها المؤرّخ الجبان ولا يقبلها لنفسه، ويأبى أن يعرض فيها، وتأباها كلّ نفس أبيّة.

أجل! حتّى الرعديد الخائف يتجلّد في مثل هذا الموقف، فكيف بالمولى الذي أذاق جرذان السقيفة الموت غصصاً مصبّرة، ولا زالت الكوفة إلى اليوم تختزن له في أعماقها الإكبار والإجلال وتهابه ولا تنسى بطولاته.

يكفي لردّ هذه الأقوال الخائبة والافتراءات التافهة مجرد نسبتها إلى بطل يسمّى «مسلم بن عقيل عليه السلام».

الباعث الثاني:

الحيرة والتيه والتردّد

قد تكون الحيرة والتيه والتردّد بأحد معنين:

المعنى الأول:

ربما يحار الإنسان ويتيه عن مكان يقصده، وهو يعرفه ولو إجمالاً، وهو في وضع عادي وحركة مسترسلة.

ومثل هذا لا يتلدّد إلّا أن يكون ملاحقاً خائفاً يتمنّى أن يصل إلى جحره ليختفي فيه.

وهذا لا يصدق على مولانا مسلم عليه السلام، وذلك لأنّه إن كان قاصداً مكاناً بعينه وهو في حالة الاسترسال والوضع الآمن العادي، فسيكون حاله ـ على أقلّ التقادير ـ حال أيّ

فرد آخر ذكرناه في بداية الفرض.

ولا يصدق عليه أيضاً باللحاظ الثاني، ونستغفر الله ونتوب إليه من ذكر هذا اللحاظ، ولكنّ ضرورة البحث اقتضت ذلك، وإلّا فمن يخال في مولانا مسلمعليه السلام لحاظ الخوف والبحث ....؟؟

ولو كان خائفاً لما صلّى الفريضة في المسجد الأعظم وهو بين الأعداء! كما ذكرنا في دلالات صلاته في المسجد.

المعنى الثاني:

وربما يحار حيرة من لا يدري ما يعمل ولا يفقه ما يفعل، ويتيه لأنّه لا يستطيع أن يعزم ويصمم ويقرّر ويختار، لأنّه لا يعرف النهاية، ولا يهتدي إلى غاية، وهو ما يبدو من ظاهر كلام المؤرّخ، ويلوح من إشاراته التي يريد إيصالها من خلال عبارته للمتلقّي.

وهذا الفرض أيضاً لا يمكن تصوّره في

مولانا مسلم بن عقيلعليه السلام وذلك:

أوّلاً:

كيف يثور! الإنسان مهما كان، وهو لا يعرف المدينة التي يريد الخروج فيها، ولا يعرف طرقها وأزقتها؟

ثانياً:

كيف يثور! الإنسان، وهو في بلد غريب دون أن يأمّن طرق تحركه وتنقلاته، ويمسح الطرق والميادين التي يريد أن يتحرّك فيها؟

ثالثاً:

كيف يتحرّك أيّ متحرّك ضدّ نظام الحكم، ويخرج الخارج ولا يرتّب لنفسه طريق الانسحاب، ومثل مولانا مسلم كان يعلم وفق الوثائق التاريخية أنّ بيت هاني محاصر، وليس فيه سوى نساء أرامل وفتيات ثواكل، وصراخ وعويل، وقد خرج منه وهو على هذه الحال.

روى الطبري عن عبد الله بن خازم في خبر طويل قال:

.. فلمّا ضرب ـ يعني هاني ـ وحبس ركبت فرسي، وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر[1]..

فكيف يخرج للقتال ولا يحدّد لنفسه مكاناً آمناً يرجع إليه؟!

رابعاً:

الصورة المعروضة في التاريخ تكشف عن حالة من الهلع والفزع والترقّب والتوجّس، وهي صور لا تنسجم مع الوقار والسكينة والطمئنينة والثبات والشجاعة والبصيرة وغيرها من الخصال التي نجزم دون أيّ تردّد بأنّها من جبلة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام،

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

وهي طبيعة وجبلة فطر عليها المولى لا تتخلّف ولا تختلف عنده في الحرب والسلم والسخط والرضا.

ومن كان مطمئناً واثقاً ثابتاً راسخاً قوي الجنان رابط الجأش لا يتلدّد.

الردّ الثاني:

استخدام هذه المصطلحات في حقّ مثل مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام تجاوز لحدود الأدب، وتعدّي على حريم المقدّسات، فليس التردّد من شيم العالم العارف المتيقّن الواثق المقدام، وإنما يحار من لا يتبصّر ولا يهتدي ولا يعرف موطئ قدمه، أمّا الثابت العازم الذي خرج من مكة وهو يعلم عاقبته، وقد رسم الموعد مع سيّد الشهداء عليه السلام، فلا يكون متردّداً ولا متلدّداً.

أجل! ربما يقال ـ بناءاً على الروايات التاريخية التي يمكن الإفادة منها ـ أنّه كان

يقاتل في الليل حتّى وصوله إلى بيت طوعة ـ رضوان الله عليها ـ يكون معنى التلدّد أنّه كـان كـثير التلفّت في الحـرب، وهـي خـصلة ممدوحة في المقاتل، حيث عـرف بها عـمّه أمير المؤمنين(عليه السلام) وبطل البـشرية أجمـعين. غير أنّ هذا الفرض تحميل يصعب انسجامه مـع النـصوص التـاريخية، لأنّها تـصرّح بوضوح أنّه كـان يـتلفّت مـتلدّداً لوحـدته وحيرته.

الردّ الثالث:

إقامة مسلم(عليه السلام) بالكوفة عدّة سنوات

لقد عاش المولى مسلم بـن عـقيل(عليهما السلام) في الكوفة مع عـمّه أمـير المـؤمنين(عليه السلام) زهـاء خمس سنين، وكـان مـركز الخـلافة يـومها وموقع الحكـومة مسـجد الكـوفة، وبـيت الإمـام(عليه السلام) لا يـبعد كـثيراً عـن المسـجد الأعظم، وهو على أطـراف قـصر الخـبال،

وقد دارت أحداث الساعة الأخيرة في نفس الموقع ونفس المكان.

وافتراض التلدّد بمعنى الخوف والتوجّس وغيرها ممّا يفعله الهـارب الخـائف مـردود مرفوض لا يتصوّره عـاقل في حـقّ حـفيد أبي طالب وابن أخي أمير المؤمنين وابن عمّ الحسن والحسين(عليهما السلام).

وكـذا افـتراض أن يكـون غـير عـارف بـالطرق والسكك ومـنافذها ومـداخـلها ومخارجها لا يصحّ بعد أن عرفنا أنّه عاش في ذلك المكان ردحاً طويلاً مـن الزمـن يـعدّ بالسنوات.

سيما إذا عرفنا أنّ الكـوفة مـهما تـوسّعت خـلال عـشرين سـنة فـارقها مسـلم بـن عقيل(عليهما السلام)، وافترضنا أنّه لم يعاودها خـلال تلك الفترة، فإنها لم تتوسّع في المـركز الذي كان موضع تحرّك المولى مسلم بن عقيل(عليهما السلام) توسّعاً لا يكتشف معه الطريق ويبقى متلدّداً

لا يعرف الطريق، ومركز الكوفة كـان ـ ولا زال إلى يومنا هذا ـ واحداً يتمثّل في المسجد الجامع وقصر الخبال.

الردّ الرابع:

إقامة مسلم عليه السلام خلال السفارة

أضف إلى ما ذكرنا في الردّ السابق، فـإنّ المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام أقـام في الكـوفة زهاء شهرين أو أكثر أيـام سـفارته، فـهلّا خرج من الدار التي أقام فيها لأيّ غرض من الأغراض خلال هذه الفترة من الزمان؟!

ثم لماذا اختار المولى أبواب كندة للخروج دون أبـواب المسـجد الأخـرى إذا كـان لا يعرف الطريق؟ فباب الثعبان تؤدّي إلى جهة النهر ـ أي الجهة المخالفة للـقبلة ـ والنهـر لا يبعد كثيراً عن المسجد، وعلى ضفافه تكثر النخيل والبساتين والحـقول، وهـي أوفـق وأنسب لمن أراد الاختفاء؟!

الردّ الخامس: تصوير المؤرّخ

قصّة التلدّد هذه تتمّة للقصص الأخـرى التي نسجها المؤرّخ وفق أغراضه في تصوير التاريخ بما يـنسجم مـع الحـركة الإعـلامية الأموية الماكرة في عرض مسيرة قيام سـيّد الشهداء عليه السلام، والطعن على رجاله ومحاولاته الخائبة في ثلم سيوفه عليه السلام، التي امتدّ شررها ودخانها المضلّل ورمادها القاتم إلى اليـوم، وما دام الحدث الذي يرويه لنا المؤرّخ يؤدّي بـنا ـ ضرورةً ـ إلى التزام نـتيجة تخـالف المعرفة الوجدانية والمعرفة الناشئة من تقييم أهـل البـيت عليهم السلام عـموماً، وتـقييم سـيّد الشهداء عليه السلام خصوصاً، وتعريفهم لمسلم بن عقيل عليهما السلام، فـإنّنا إن لم نـردّها بكـلّ جـرأة وثبات، فلا أقلّ ليتوقف فيها المحـتاط لدينه والمراعي للأدب مع ساداته.

وهنا نرى المؤرّخ يؤكّد ما دسّه في تـاريخ المولى من الإيحاء الصريح باستعجال المـولى

في اتّخاذ القرار دون تأمّل! وتردّده في قصّة بيعه الأرض من معاوية في قصّة شراء والدته عليه السلام[١].

ثم استعجال المولى عليه السلام في اتّخاذ القرار دون تأمّل، وتردّده وتراجعه عن قبول السفارة واستعفاؤه في بداية الطريق وأوّل المهمّة[٢].

ثم استعجاله في اتّخاذ القرار دون تأمّل، وتردّده وتراجعه عن اغتيال ابن زياد بعد أن واجه الموقف، وتردّده في ذلك[٣].

ثم استعجاله في استقبال «معقل» دون تأمّل[٤]....

---

١. انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة شراء والدته» للسيّد علي أشرف.

٢. انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة التطيّر» للسيّد علي أشرف.

٣. انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة محاولة اغتيال ابن زياد» للسيّد علي أشرف.

٤. انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة معقل» للسيّد علي أشرف.

وهكذا تجده هنا ـ كما في تلك المشاهد ـ فيما يرسمه المؤرّخ متعجّلاً غير متدبّر للعواقب، متردّداً في اتّخاذ الموقف، لا يقوى على البتّ في الأمور إلّا بمعونة الآخرين، نستغفر الله من هذه الأباطيل، ونعوذ به من هذا الزيف، ونبرأ إلى الله من كلّ ما ينال من قدسيّة هذا السيف الصقيل من سيوف آل أبي طالب، وتعالى شأن المولى عليه السلام الواثق العالم النافذ البصيرة من هذه الافتراءات، وحاشاه أن تحيط به «تيارات مذهلة من الهموم ويكاد قلبه ينفجر من شدّة الألم وعظيم الحزن»[١]، فقلب مسلم عليه السلام أعظم من أن تذهله الهموم، أو أن ينفجر، ولو صبّت عليه مصائب الدنيا، إنّ قلبه بيت من بيوت الله، ومعدن من معادن الصبر والثبات والاستقامة على أمر الله مهما كلّف الأمر.

---

١. انظر: الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام: ١٥٦.

أو أن يكون «قد هاله إجماع القوم على نكث بيعته وغدرهم به»[١]، وهو لا شكّ قد سمع وصيّة عمّه أمير المؤمنين عليه السلام «اسلكوا سبل الخير ولا تستوحشوا فيها لقلّة أهلها واذكروا حسن صحبة الله لكم فيها»[٢]، وهو العارف بمآله والخبير بالمجتمع الذي أرسل إليه.

ولم يكن المصر وما احتواه غائباً عن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بحيث كان يجهل ـ والعياذ بالله ـ ولا يعلم ولا يدري أين هو؟ وبين أيّ أناس يتحرّك؟ ثم «استبان له أنّه ليس في المصر رجل شريف يقوم بضيافته وحمايته أو يدلّه على الطريق، فقد كان لا يعرف مسالك البلد وطرقها!!»[٣].

لقد كان مسلم بن عقيل عليه السلام واثقاً رابط

١. انظر: الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام: ١٥٦.
٢. تحف العقول: ٢٢٠.
٣. انظر: الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام: ١٥٦.

الجأش قويّاً متماسكاً نافذ البصيرة صائب الفكر عارفاً عالماً خبيراً في كلّ مواقفه ومشاهده، ولم يكن في أيّ لحظة من لحظات تواجده في الكوفة ولا قبلها «حائر الفكر خائر القوى[١]».

الثغرة الخامسة: التدبير قبل العمل

لقد وردت الأحاديث الشريفة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تؤكّد على التفكّر والتدبير قبل الشروع في العمل:

فقد روي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: التَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ.

وقال أمير المؤمنين في وصيته لابنه الحسين عليه السلام:

ومن تورّط في الأمور بغير نظر في العواقب

١. انظر: حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي: ١٥٦.

فقد تعرّض للنوائب، التـدبير قـبل العـمل يؤمنك الندم.

وقالعليه‌السلام: التدبير قبل الفعل يؤمن العثار.

وقالعليه‌السلام: أدلّ شيء عـلى غـزارة العـقل حسن التدبير.

وقالعليه‌السلام: سوء التدبير سبب التدمير.

عَنْ الإمام جَعْفَرٍ الصادق عَنْ آبَـائِهِعليهم‌السلام: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِصلى‌الله‌عليه‌وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي!

فَقَالَ لَهُ: فَهَلْ أَنْتَ مُسْتَوْصٍ إِنْ أَوْصَيْتُكَ؟ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثاً فِي كُلِّهَا يَقُولُ الرَّجُـلُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِصلى‌الله‌عليه‌وآله: فَإِنِّي أُوصِـيكَ إِذَا أَنْتَ هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَـتَدَبَّرْ عَـاقِبَتَهُ، فَـإِنْ يَكُ رُشْداً فَامْضِهِ، وَإِنْ يَكُ غَيّاً فَانْتَهِ عَنْهُ.

وروي فِيمَا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَعليه‌السلام عِنْدَ وَفَاتِهِ: أَنْهَاكَ عَنِ التَّسَرُّعِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

قَالَ الرِّضَاعليه‌السلام: مَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ مِنْ وَجْهِهِ

لَمْ يَزِلَّ، فَإِنْ زَلَّ لَمْ تَخْذُلْهُ الْحِيلَةُ.

وَقَالَعليه‌السلام: مَـنْ لَمْ يَـعْرِفِ الْمَـوَارِدَ أَعْـيَتْهُ الْمَصَادِرُ.

وَقَالَ النَّبِيُّصلى‌الله‌عليه‌وآله: إِذَا هَمَـمْتَ بِأَمْـرٍ فَـتَدَبَّرْ عَاقِبَتَه.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَعليه‌السلام: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ لُـؤْمَ ظَفَرِ الْأَيَّامِ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْ سَطَوَاتِ الدَّهْرِ، وَلَمْ يَتَحَفَّظْ مِنْ فَلَتَاتِ الزَّلَلِ، وَلَمْ يَتَعَاظَمْهُ ذَنْبٌ وَإِنْ عَظُمَ[١].

ومن جـنود العـقل: التـفكّر في عـواقب الأمور[٢].

وفي عهد الإمام أمير المـؤمنينعليه‌السلام لمـالك الأشتر: وأبلغ في عواقب الأمور نظراً[٣].

إلى غـــير ذلك مـن الأحـاديث الكـثيرة المتظافرة بهذا المعنى، ونحن لا نشكّ بتاتاً أنّ

---

١. بحار الأنوار للمجلسي: ٦٨ / ٣٣٩.

٢. بحار الأنوار للمجلسي: ١ / ١٢٦.

٣. نهج البلاغة: ٤٣٣.

المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد أتقن ذلك بنفسه المقدّسة، وبما أخذه عن عمّه أمير المؤمنين وباقي المعصومين عليهم السلام، وليس ثمّة أحد أضبط وأتقن وأعرف بهذه الأحاديث من أمثال صهر أمير المؤمنين وأخي سيّد الشهداء الحسين عليه السلام.

وقد نادى سفير الحسين عليه السلام وثقته بشعاره «يا منصور أمت»، كما ورد في الطبري، وعبأ عسكره، ودفع الرايات إلى رجاله الأشداء من أمثال مسلم بن عوسجة وأبي ثمامة الصائدي، وتقدّم إلى القصر ـ بغضّ النظر عن الدوافع ـ، وهو يعرف الغوغاء الذين بايعوه، ويعرف الأولياء الذين ناصروه، وليس لأحد أن يدّعي معرفة الخليط المتهرئ الذي يتشكّل منه نسيج المجتمع الكوفي يومذاك كمعرفة مسلم بن عقيل عليه السلام، فهل يتصوّر أن يكون قد تحرّك هذا القائد الفذّ العالم الخبير ولم يحسب

لعواقب الأمور، على احتمال الظفر أو هزيمة العسكر؟!

وكيف يمشي في طريق لا يعرف سبيل العودة فيه؟

والأعجب كيف يصوّرون المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، وكأنّه لا يعرف حتّى طريق العودة إلى الدار التي خرج منها؟!!!

وهل يخرج أيّ فرد عاد ليقارع الجبار المتغطرس، والعنيد المتجبّر، وهو لا يفكّر في الطريق الذي يسلكه، فضلاً عن المخرج الذي ينقذه؟!

الثغرة السادسة:

التعبيرات الموهنة والمواقف التي لا تليق بالبطل الهاشمي المطهّر

في تعابير المؤرّخين من التوهين لشخص المولى وخدش لقداسته التي لا تنثلم حيث يصوّرون موقف المولى مسلم عليه السلام تصويراً لا

ينسجم مع شخصه الكريم الشجاع والخبير العالم والعارف الحازم، ويرمونه بأقذع الافتراءات التي يقفّ لها الشعر وتقشعرّ منه الجلود!

كقول: ابن سعد:

فهرب!! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: «طوعة» فاستجار بها[١]..

أنعم النظر في قوله «فهرب» و«استجار»، هرب من الرجال واستجار بامرأة!!

وقول الدينوري في الأخبار الطوال: فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل ...[٢]

والهيام: كالجنون، والهيام: نحو الدُّوارِ جنونٌ يأخذ البعيرَ حتّى يَهْلِك، والهَائِمُ: المتحيِّر[٣].

١. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩.
٢. الأخبار الطوال: ٢٣٩.
٣. انظر: لسان العرب مادّة «هيم».

وقول الطبري: فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب[١]...

وقول ابن شهرآشوب رحمه الله في المناقب: فبقي في أزقّة الكوفة متحيّراً[٢]...

وقال الطريحي في المنتخب: لمّا وصل خبر هاني إلى مسلم خرج من الدار هارباً! حتّى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك[٣]..

أمّا ما في مقتل أبي مخنف المشهور فلا يدرى أتضحك له الثكلى، أم تشقّ له الجيوب، وتسقط من سماعه الحبلى، استمع ما يقول:

فلمّا سمع مسلم بن عقيل قتل هاني خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتّى خرج من الكوفة وأتى الحيرة وجعل يدور فيها حتّى بلغ إلى دار عالية البنيان، وفيها

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، مقاتل الطالبيين: ٦٧.
٢. المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٨.
٣. المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٥.

دهـليز كـبير ، وامـرأة جـالسة عـلى بـاب الدهليز ، فوقف مسلم ينظر إليها ، فقالت له : ما وقوفك يا هذا في دار فيها حرم غيرك؟

فـقال : والله مـا وقـع في قـلبي شيء ممّـا تقولين ! ! ! ولكن أنا رجل مـظلوم ، وأريـد من يخبيني ! ! بقيّة يومي هذا ، فإذا جنّ الليل خرجت في ظلمته[1].

هرب فور سماعه خبر مقتل هاني ! ثم كان وقوفه مريباً بشكل خـاصّ لا نجـرؤ عـلى إعادة كتابته ، ثم يبرء المولى الطـهر الطـاهر ساحته من ذلك بالقسم فيقول : «والله ما وقع في قلبي شيء ممّـا تـقولين ! ! !» ، ثم يـتوسّل إليها أن تخبئه ! وتخفيه بمقدار مـا تـبقّى مـن بياض ذلك اليوم ! !

نحسب أنّ هذا كلّه حينما يكون تعبيراً عن البطل الطالبي والليث العقيلي الهاشمي أشـبه ما يكون بالهراء ، فلا يستحقّ أن يناقش أو

١ . مقتل أبي مخنف المشهور : ٣١.

يكشف عن عواره الغطاء .

الثغرة السابعة :

كيف تفرّق الجمع وولّى الدبر

أكّدت المصادر أنّ القـوم قـد تجـمّعوا في المسجد وحول قصر الخبال ، وأنّ الأوساخ المتدلية من ذنب جرو القرد الأمـوي (ابـن زياد) من أمثال «كثير» وغيره قد تكلّموا مع الناس حتّى كـادت الشـمس أن تجبّ ، وأنّ تجمّع الناس إجابة لنداء المولى الغـريب قـد استمرّ حتّى المسـاء كـما في روايـة الطـبري وغيره .

فالدلائل الواضـحة تشـير إلى أنّ رحـبة المسجد وفناء قـصر الخـبال كـان مـزدحماً بـالناس إلى وقت الغـروب ، ووفـق بـعض المصادر بعده أيضاً ، فكيف أضحى المسجد خالياً والطرقات فارغة إلّا من هؤلاء النفر المعدود خلال فترة قد لا تتجاوز الساعة من

الزمن بالوقت المرسوم اليـوم، وهـم آلاف مؤلّفة من قبل كلا الطرفين؟

على أنّ التـفرّق كـان تـدريجياً كـما تـفيد الأخبار حـيث كـانت المـرأة تأتي ابـنها أو أخاها فتكلّمه فيرجع[1].

الثغرة الثامنة:

مسلمعليه السلام لا يعرف طريق منزله!

روى الشيخ المـفيدرحمه الله والفـتال وابـن نمـا والمجلسي والبحراني، واللفظ للأوّل قال:

«فـإذا هـو لا يحسّ أحـداً، يـدلّه عـلى الطريق، ولا يدلّه على منزله! ولا يـواسـيه بنفسه إن عرض له عدوّ».

عرض معيب لشخصية المولى العالم من آل محمد مسلم بـن عـقيلعليهما السلام، يخـرج القـائد العسكـري الفـذّ وكـبير آل عـقيل وصهـر

١. انـظر للـتفصيل: «مسـلم بـن عـقيلعليهما السلام مـعركة القصر».

أمير المؤمنينعليه السلام في الكوفة التي عاش فـيها ردحاً من الزمن، ثم لا يعرف طريق عودته إلى منزله!!! العودة إلى منزله!!

تاه المولى في أزقّة الكوفة، ومشى طـريقاً أذهـلته الحـرب، وأدهشـه القـتال عـن الالتفات إليه وحفظه بحـيث لم يـعد يـعرف شيئاً، ولا يعرف طريق عودته إلى منزله !!!.

إنّ مسلم بن عقيلعليهما السلام أعلى شأناً، وأقوى جـناناً مـن أن يـذهله القـتال، أو يـرتبك ـ والعياذ بالله ـ حتّى لم يعد يميّز طـريقه! ولا يعرف مكان منزله!

إلّا أن يحـمل كـلامهم عـلى محـمل آخـر ستأتي الإشارة إليه، إن شاء الله تعالى.

الثغرة التاسعة: هرب المولى مسلمعليه السلام

ذكر ابن سعد، وهو أقدم المؤرّخين الذين ذكـرناهم وفـاة: أنّ مسـلماًعليه السلام هـرب واستجار بامرأة «وجاء الليل فهرب مسـلم

حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها "طوعة" فاستجار بها!»[١].

وهي كذبة لا يصدّقها غبي فضلاً عن العاقل الذكي، حيث كانت طريقة خروج المولى مسلم عليه السلام من الميدان ـ التي ذكرها ابن سعد ومن تبعه ـ طريقة لا تصدّق، ولو قام لها الآلاف من أمثال ابن سعد والواقدي والمدائني والذهبي، بل لو اتّفق كلّ العالمين عدا المعصومين عليهم السلام.

ومن ذا يحتمل ذلك في البطل الهاشمي حفيد أبي طالب عليهما السلام، فربما ثقلت هذه الكذبة المفضوحة على المؤرّخين من بعده، فبادروا إلى صياغتها بعبارة أهون على السامع، وأقرب إلى احتمال التصديق، فاخترعوا قصّة تلدّده في الشوارع!

---

١. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي عن ابن سعد: ٣/ ٢٩٩.

الثغرة العاشرة:

الاختلاف في العدد المتبقّي

لا تكاد المصادر تتّفق على العدد المتبقّي مع المولى الغريب.

فهم عند ابن سعد ستّون: «وهو في نحو من ستّين رجلاً».

وعند البلاذري: زهاء ثلاثين: «وما معه إلّا نحو من ثلاثين رجلاً».

وعند الطبري في إحدى رواياته خمسمائة: «فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة».

وفي رواية أخرى له ثلاثون نفساً: «فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً».

ويتناقص العدد حتّى يبلغ عشرة: «وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان».

وفي روايته عن ابن يساف جعلهم

خمسين: «فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثمّ أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً».

وعند ابن أعثم عشرة لا أقلّ ولا أكثر: «فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة».

وأنهى المسعودي المشهد مع مائة رجل: «فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل».

ثمّ غاب المائة خلال فترة وجيزة لا تتعدّى حركة مسلم بن عقيل عليه السلام في المسجد متوجّهاً إلى أبواب كندة، فلم يبق منهم إلّا ثلاثة:

«فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة، ثمّ خرج من الباب، فإذا ليس معه منهم أحد..».

وهم عند أبي علي مسكويه وابن شهرآشوب «ثلاثون» دون أن يتناقصوا إلى عشرة: «حتّى أمسى مسلم بن عقيل، وما معه إلّا ثلاثون رجلاً حين صلّيت المغرب».

ولم يثبت مع مسلم عليه السلام أحد عند ابن الجوزي في المنتظم: «فتسلّلوا، فما اختلط الظلام حتّى بقي مسلم وحده».

وقول الذهبي بروايته عن الواقدي والمدائني ما لا يليق بساحة البطل الهاشمي الشجاع ولا يصحّ أن يوصف به، ولا يصدّق خبرهم فلا نذكره.

وجمع ابن كثير الأعداد وفرّقهم بالتدريج فبدأ بالخمسمائة، وانتهى إلى العشرة: «فتخاذل الناس وقصروا وتصرّموا

وانصرفوا عن مسلم بن عقيل، حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثم تقالّوا، حتّى بقي في ثلاثمائة، ثم تقالّوا، حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كندة، فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه، فبقي وحده».

وأجمل ابن حجر ولم يذكر عدداً بعينه: «فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلّا عدد قليل منهم، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً».

فالأعداد التي بقيت مع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ـ وفق ما ورد في المصادر التاريخية ـ كالتالي:

ابن سعد: ٦٠.

البلاذري: ٣٠.

الطبري ١: ٥٠٠.

الطبري ٢: ٣٠ ـ ١٠.

الطبري ٣: قريب ٥٠.

ابن أعثم: ١٠ أفراس.

المسعودي: ١٠٠ ـ ٣.

ابن الجوزي: ٠.

ابن كثير: بدأ بـ ٥٠٠ وانتهى بـ ١٠، وذكر بين الأعداد: ٣٠٠.

ربما قيل: إنّ اختلاف الأعداد هنا لا يعدّ ثغرة تخدش ولا يضرّ بالخبر، وذلك لسببين:

السبب الأول:

إنّ ذكر الأعداد هنا مستند إلى التخمين والتقدير حسب ما يراه الراوي ووفق ما يحتمله بالنظر.

وقد يجاب أنّ هذا قد يصحّ في الأعداد الكبيرة من قبيل الخمسمائة والثلاثمائة والمائة، أمّا الخلط في التخمين بين هذه الأعداد الكبيرة والعشرة والثلاثين والستّين فهو بعيد.

السبب الثاني:

إنّ الراوي ينقل مشاهداته وقد وقع التفرّق تدريجياً حسب المصادر، فكلّ راوٍ نقل العدد الذي شاهده ضمن المقطع الزمني الذي تواجد فيه ذلك العدد بالخصوص.

وهذا الكلام متين إذا صحّ أنّ كلّ شاهد نقل مشاهدته في فترة زمنية تختلف عن مشاهدة الآخر ولو آناً ما، غير أنّ الملاحظ أنّ الرواة يتحدّثون عن لحظة معينة ويقصدون موقفاً محدداً، وهي الساعة الفاصلة التي انفض فيها الناس عن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

ونحن لا نقصد الاختلاف في الأعداد أثناء التسلّل والانفضاض والتفرّق التدريجي الذي حاول ابن كثير تصويره، وإنما نقصد العدد الأخير الذي بقي ـ حسب المصادر ـ المولى بعدها وحيداً، أي آخر عدد ذكره المؤرّخون، ثم صرّحوا بوحدته عليه السلام بعده،

فهو يتراوح بين الخمسمائة والعشرة، والبون بينهما كبير، وحصول الاشتباه في التخمين بعيد.

الثغرة الحادية عشر:

الاختلاف في وقت التفرّق ومكانه

لا تكاد المصادر تتّفق على الوقت والمكان الذي تفرّق به هذا العدد:

أمّا ابن سعد فقد روى أنّهم خرجوا معه أربعمائة، وتفرّق الغوغاء عنه في طريقه إلى القصر، فلمّا وصل القصر لم يكن معه إلّا العدد المتبقّي، وهم قد ثبتوا معه يقاتلون ولم ينفضّوا عنه حتّى دهمهم الليل، وكثرهم جرذان السقيفة، قال:

«فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو من ستين رجلاً، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد، فغربت الشمس وكثرهم أصحاب

عبيد الله بن زياد، وجاء الليل فهرب! مسلم»..

وأمّا البلاذري فلم يحدّد الوقت والمكان بالضبط، واكتفى بقوله «أمسى»، وأنّه خرج دون أن يذكر الموضع الذي خرج منه، قال:

«فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه؛ حتّى أمسى، وما معه إلّا نحو من ثلاثين رجلاً، فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده».

وذكر الدينوري أنّ الواقعة وقعت بعد صلاة العشاء، وفي ظلمة الليل البهيم، وأنّهم شيّعوه مشياً على الأقدام حينما توجّه إلى أبواب كندة وخرجوا من المسجد معه:

«فصلّى مسلم العشاء في المسجد وما معه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً، فلمّا رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً».

وفي تصوير الطبري في إحدى رواياته يفيد كأنّ التجمّع كان على باب قصر الخبال ومن ثمّة حصل التسلّل وتفرّد المولى مسلم بن عقيل عليه السلام عند اختلاط الظلام:

فلمّا سار إليه مسلم، فانتهى إلى باب القصر، أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكلّمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً.

وفي روايته الأخرى بقي معه ثلاثون حتّى أدّوا صلاة المغرب معه، ثم تفرّقوا:

«فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتّى صلّيت المغرب، فما صلّى مع ابن عقيل إلّا ثلاثون نفساً».

وفي رواية أخرى أفاد أنّهم كانوا معه في المسجد حتّى أرخى الليل سدوله وهبط الظلام بحيث احتاجوا إلى إنزال شعل النيران

لاستكشاف حنايا المسجد ومن تواجد فيه:

«فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً».

ويفيد أنّ الخمسين قاتلوا معه حتّى هزموا!!:

«قال: فنزل: فصعد المنبر، وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة».

أمّا ابن أعثم فقد صرّح بهبوط الظلام، وأنّ العشرة الباقية تفرّقوا عنه بعد أن دخل المسجد:

«فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب، وتفرّق عنه العشرة».

وعند المسعودي أمسى مسلم عليه السلام وقد تفرّق عنه الناس فلم يبق إلّا مائة، وتفرّق المائة قبل أن يبلغ الباب من أبواب كندة، وهو خارج من المسجد، قال:

«فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب، فإذا ليس معه منهم أحد».

وعند ابن حبان لم يصلوا إلى القصر ولم يحصل أيّ قتال:

«ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد، فلمّا قرب من

قصر عبيد الله نظر، فإذا معه مقدار ثلاثمائة فارس، فوقف يلتفت يمنة ويسرة، فإذا أصحابه يتخلّفون عنه حتّى بقي معه عشرة أنفس، فقال: يا سبحان الله! غرّنا هؤلاء بكتبهم، ثم أسلمونا إلى أعدائنا هكذا، فولى راجعاً، فلمّا بلغ طرف الزقاق التفت، فلم ير خلفه أحداً، وعبيد الله بن زياد في القصر متحصّن يدبّر في أمر مسلم بن عقيل».

***

وربما قيل أنّ الاختلاف في الوقت والمكان لا يعدّ اختلافاً ذا بال، لأنّ الفترة عند الجميع تتراوح بين المساء والعشاء في أقصى التقادير، وهي الفترة التي احتدم فيها النزاع، والمكان لا يتباعد عن المسجد الأعظم وقصر الخبال وأبواب كندة وهي جميعاً متقاربة، فربما كان المسجد الأعظم باحة يطلّ عليها المشرف من أسوار قصر

الخبال، وبيت الله وقصر الشيطان يشتركان بالباحة التي يطلان عليها في ضلعين من أضلاعهما على الأقلّ، وهما الضلع الشرقي والغربي، كما هو واضح إلى يومنا هذا.

فالمنطقة التي حصل فيها التفرّق تكاد تكون محصورة نسبياً.

بيد أنّ الأمر إذا لوحظ ضمن خطورة الموقف وحساسية المشهد، وسعة الجامع الأعظم بالكوفة، وكذلك سعة الرقعة التي يحتلّها قصر الخبال، وامتداد أسوارهما الطويلة المترامية، وافتراض الدقّة في الراوي الذي يحدّث لينقل مثل هذه الواقعة التي غيّرت مجرى التاريخ، تبقى هذه الثغرة بمستوى من القوّة التي تحتمل زعزعة الثقة بالنقل ولو نسبياً، إذا انضمّت إليها الثغرات الأخرى.

الثغرة الثانية عشر:

الاختلاف في عدد من استجاب لنداء المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

اختلف المؤرّخون في العدد الذي لبّى نداء المولى مسلم بن عقيل عليه السلام:

فهم عند ابن سعد أربعمائة من الشيعة:

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة».

وعند البلاذري أربعة آلاف من أصل ثمانية عشر ألف:

«وأتى مسلماً خبر هانئ، فأمر أن ينادي في أصحابه، وقد تابعه ثمانية عشر ألف رجل، وصاروا في الدور حوله، فلم يجتمع إليه إلّا أربعة آلاف رجل، فعبأهم ثم زحف نحو القصر»[1].

ويفيد الدينوري من خلال جمع عبارتين له أنّهم ثمانية عشر ألف رجل:

١. أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

«ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروة نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا.... فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقيّة الناس»[1].

وقال قبل ذلك:

«ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل»[2]...

وفي إحدى روايات الطبري أربعة آلاف من أهل الكوفة:

«فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته»...

وفي الرواية الأخرى الطبري تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد والسوق وزيادة:

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.
٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٥.

عن عبد الله بن خازم في خبر طويل:

قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ...

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه، وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: يا منصور أمت، فناديت: يا منصور أمت، وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه... ثم أقبل نحو القصر..

وفي خبر عباس الجدلي!:

«خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة...

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتّى أحاط بالقصر، ثم إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فو الله ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق،

وما زالوا يثوبون حتّى المساء...»[١].

وفي الرواية الثالثة الطبري لم يحدّد العدد بالضبط، وإنما عبّر عنهم ناس كثير.

«فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير».

وعند ابن أعثم: ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون..

«وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون[٢]...».

واجتمعوا على قول المسعودي دفعة واحدة ثمانية عشر ألف رجل!!

«فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد»[٣].

وهم عند ابن حبّان: ثلاثة آلاف فارس..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.
٢. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.
٣. مروج الذهب: ٣ / ٥٨.

«ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد»[١].

وعند أبي علي مسكويه مثل إحدى روايات الطبري:

«وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر. فأتوه بالخبر على وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره: يا منصور أمت وكان قد بايعه ثمانية عشر ألف رجل، فاجتمعوا إليه، فعقد لجماعة على الأرباع، وقدّم أمامه صاحب ربع كندة، وأقبل نحو القصر، فتحرّز عبيد الله، وغلّق الأبواب، وسار مسلم حتّى أحاط بالقصر، وتداعى الناس، واجتمعوا، حتّى امتلأ المسجد والسوق، وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء»[٢].

وعند ابن شهرآشوب: ثمانية آلاف!!

١. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.
٢. تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٩.

«ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواليه فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممّن بايعوه»[١]...

وعند ابن الجوزي في المنتظم: أربعة آلاف..

«فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف»[٢]...

وعند ابن الأثير: ذكر أعداد المبايعين والمجتمعين حوله ثم جمعهم بقوله «ناس كثير».

«وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً وحوله في الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير...»[٣].

١. المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٧.
٢. المنتظم: ٥ / ٣٢٦.
٣. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠.

وعند ابن نما: جماعة ممّن بايعه.. «ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممّن بايعه»[١]...

وعند ابن طاووس: لم يحدّد العدد وإنما خرج بمن بايعه..

«وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد»[٢]..

وقال ابن كثير:

«فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة..»[٣].

وهم عند ابن حجر: أربعون ألفاً!! من أهل الكوفة...

«ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً من أهل الكوفة»[٤]..

---

١. مثير الأحزان لابن نما: ٣٤.

٢. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٤٧.

٣. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

٤. الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠.

الأعداد باختصار

فتكون الأعداد باختصار:

ابن سعد: ٤٠٠ من الشيعة.

البلاذري: ٤٠٠٠ من أصل ١٨٠٠٠.

الدينوري: ١٨٠٠٠.

الطبري ١: ٤٠٠٠.

الطبري ٢: تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد والسوق وزيادة على تفصيل في الانقباض والانبساط.

الطبري٣: معه ناس كثير.

ابن أعثم: ١٨٠٠٠ أو يزيدون.

المسعودي: ١٨٠٠٠ اجتمعوا دفعة واحدة!

ابن حبان: ٣٠٠٠ فارس.

ابن شهرآشوب: ٨٠٠٠.

ابن الأثير: ناس كثير كما صرّح.

ابن نما: جماعة.

ابن حجر: ٤٠٠٠٠.

فإذا حملنا عبارات «بمن بايعه» للسيّد ابن طاووس، و«جماعة»، و«ناس كثير»، و«امتلأ المسجد والسوق»، وغيرها على الإجمال، وذكر الأعداد على التفصيل نرى الأعداد تتراوح بين الأربعمائة إلى الأربعين ألفاً.

ووقوع الاشتباه في التخمين بين الأربعمائة والأربعين ألف لا يقبل من مثل الأعمى، فربما استطاع أن يميّز بسمعه الفرق بينها، وهم حسب الفرض جيش يموج بعضه على بعض.

وكذا الكلام في باقي الأعداد ومقارنتها إلى بعضها من قبيل الأربعمائة بالمقارنة إلى الأربعة آلاف، والأربعة آلاف بالمقارنة إلى الثمانية عشر ألف، والثمانية آلاف إلى باقي الأعداد وهكذا...

الاجتماع التدريجي

ربما يقال: إنّهم اجتمعوا تدريجياً وروى كلّ مؤرّخ مشاهدات راويه، وبهذا يفسّر هذا الاختلاف الحاصل في تقدير العدد.

ويناقش هذا التفسير لسببين:

السبب الأوّل:

لوجود شواهد في عبارات بعض المؤرّخين تنفي هذا التفسير من قبيل قول المسعودي: «فاجتمع إليه في وقت واحد»، وخبر الطبري وغيره الذي فصّل بين العدد المذكور ساعة الانطلاق وتناقصه، ثم تداعي الناس حتّى امتلأ المسجد والسوق...

السبب الثاني:

إنّ كلام المؤرّخ ينصبّ ـ كما هو ظاهر عباراتهم ـ على الذين أجابوا النداء حين ارتفع الشعار، فهم جميعاً يتحدّثون عن وقت واحد لا عن أوقات مختلفة.

فرضيات لاستكشاف

الموقف الأوّل

قبل الدخول في الفرضيات والاحتمالات التي يمكن أن نستكشف بها موقف الأبرار الذين وقفوا مع المولى الغريب في ساعة العسرة ينبغي أن نقدّم بعض المقدّمات المهمّة كمفاتيح تعيننا على الدخول في الموضوع، وأضواء كاشفة تنير لنا الأجواء، وتساعدنا على الاستكشاف، وتيسّر علينا فهم الموقف.

الضوء الأوّل:

المقصود بالبحث في الموقف الأوّل

كان المجتمع الكوفي يومذاك خليطاً غير متجانس من الأديان والأعراق والطبقات الاجتماعية، ولا يهمّنا في بحثنا هذا استكشاف مواقف الناس أجمعين[١]، وإنما نحاول استكشاف مواقف رجال الشيعة ورؤوسهم وجماجمهم الذين سجّلهم التاريخ وعرفنا أسماءهم وسمعنا ثباتهم قبل يوم مسلم بن عقيل عليهما السلام.

فإذا كان محلّ البحث هؤلاء الأبرار والشجعان الفرسان المبرّزين من الأحرار، فلابد من استكشاف مواقفهم ضمن هذا الاعتقاد وفي حدود هذه المعرفة:

وهم ينقسمون إلى قسمين:

١. قمنا بدراسة مواقف الشرائح الاجتماعية بالتفصيل ضمن عنوان «مسلم بن عقيل عليهما السلام معركة القصر».

القسم الأول:

رجال الشيعة وسيوف الحسين عليه السلام وأشعة الأنور المقدّسة التي أحاطت بسيد الشهداء عليه السلام الذين ثبتوا في القتال، وأبدوا بطولاتهم وشجاعتهم في النزال، واقترنت أسماؤهم باسم سيّد شباب أهل الجنة وريحانة النبي صلى الله عليه وآله من قبيل حبيب بن مظاهر الأسدي وأبي ثمامة الصائدي ومسلم بن عوسجة وعابس بن أبي شبيب الشاكري وشوذب مولاه وغيرهم...

وهؤلاء كانوا أيام مسلم بن عقيل عليهما السلام بين يديه ردحاً من الزمن، ثم اختفت أنوراهم هناك وسطعت في كربلاء سيّد الشهداء عليه السلام.

القسم الثاني:

رجال الشيعة الكبار ورؤوسهم الضخمة من أصحاب القامات العالية والهامات الرفيعة من أمثال الأصبغ بن نباتة، وكميل

بن زياد وسليم بن قيس الهلالي وغيرهم، ممّن ثبت تاريخياً أو دلّت الشواهد والقرائن على وجودهم أيام قيام سيّد الشهداء عليه السلام في الكوفة وضواحيها غير أنّنا لا نجد لهم ذكراً خلال تلك الفترة.

***

وكلا القسمين لا يسع الواقف في رحابهم المتطلّع إلى مواقفهم أن يشكّك ـ والعياذ بالله ـ في ولائهم، ولا في شجاعتهم وثباتهم، ولا تفانيهم في الدفاع عن إمام زمانهم.

فأيّ احتمال يطرء في البال يجب أن يكون بعيداً عن خدش قداستهم وطهارتهم والتشكيك في شجاعتهم وبسالتهم وشدّة بأسهم في ميادين الجهاد والجلاد.

والرائد في تقييم مواقفهم كلمات الأئمّة المعصومين عليهم السلام فيهم وإعلان رضاهم عنهم قبل وبعد يوم مسلم بن عقيل عليه السلام.

وللباحث أن يتصوّر ويصوّر ما يخاله كشفاً عن مواقفهم إلّا الفرار من الزحف والإعراض عن نصرة الإمام المظلوم عليه السلام والتثاقل عن الجهاد.

فالقسم الأوّل قد بذل مهجته في الذبّ عن سيّد الشهداء عليه السلام، والقسم الثاني قد عرفناه وسمعنا أخبارهم وثناء المعصومين عليهم السلام عليهم.

الضوء الثاني:
صحّة مواقف الأولياء

إنّ اختفاء خبر هؤلاء الأبرار في الساعة الأخيرة مع مسلم بن عقيل عليه السلام ممّن التحق بسيّد الشهداء عليه السلام لم يرد فيه أيّ توبيخ أو استنكار أو لؤم أو عتاب لا من مسلم بن عقيل عليه السلام ولا من سيّد الشهداء الحسين عليه السلام ولا من الأئمة عليهم السلام، وهذا يعني أنّه موقف مرضي على فرض حصوله. وإنما ذكرناه هنا

في ضوء مستقل عن الضوء السابق تأكيداً على تصحيح مواقفهم، وتبييناً لها.

الضوء الثالث:

تحديد مهمّة مسلم بن عقيل (عليه السلام)

إنّنا ندرس مجريات الأحداث ونحاكمها بناء على السوابق التي أسّسنا لها في أذهاننا وعقدنا عليها ضمائرنا واعتقدنا بها.

فإذا قرّرنا من قبل أنّ البطل الهاشمي مسلم بن عقيل (عليه السلام) كان قد بيّت «الثورة» والقيام والاستيلاء على الكوفة، وكان ذلك في صلب مهمّته التي دخل الكوفة من أجلها، فحينئذٍ نعجب من تفرّق القوم، ونستغرب من فقدانهم في ساعة العسرة، ولا نرى لهم تواجداً في يوم القيام و«الثورة».

أمّا إذا نظرنا إلى مسلم بن عقيل (عليه السلام) باعتباره رسولاً مبعوثاً لاستكشاف الموقف، ومعرفة مدى توافق النوايا

والمواقف مع ما جاءت به الكتب والرسل الواصلة إلى سيّد الشهداء (عليه السلام) ـ كما تبيّن ذلك في كتابنا مسلم بن عقيل ثائر أم سفير ـ فإنّ الأمر سيختلف تماماً في مواجهة الموقف وفهمه.

ولا يستبعد ـ حينئذٍ ـ أن يكون الخلّص من الشيعة قد أدّوا مراسم البيعة وأعلنوا عن الثبات في النصرة، ثم انطلق كلّ واحد منهم إلى دارته ومنطقته، وهم يتردّدون على الكوفة بين الحين والآخر، أو في كلّ يوم، فيعرضون أنفسهم على المولى، ثم يعودون إلى مأمنهم ومكمنهم، وربما يشتغلون فيما يصلح شأن الناس ويعدّهم لاستقبال إمامهم المنتظر سيّد شباب أهل الجنة (عليه السلام).

وهذا لا يستلزم بالضرورة أن يكونوا متواجدين دائماً وعلى مدار الساعة بين يدي مسلم بن عقيل (عليه السلام)، خصوصاً إذا عرفنا أنهم مطمئنون إلى أنّه في دار منيعة وبين ثلّة

شديدة متماسكة من قبيل هاني بن عروة ومسلم بن عوسجة وإخوانهم.

وإنما حصل الذي جرى في ساعات معدودة محدودة من يوم وليلة.

والليل البهيم لا يسمح بالقتال واستمرار المساجلة والحرب، وفي غداة غد استشهد الفارس الطالبي وكبير آل عقيل، واستشرى الخذلان في العوام، وتعرض الشيعة إلى القتل والاعتقال.

الضوء الرابع:

همّ الأنصار اللحاق بالحسين عليه السلام

بناءاً على ما قدّمنا من أنّ المولى الغريب كان مأموراً باستكشاف الوضع، وكان دخوله إلى الكوفة إيذاناً بانطلاق القيام الحسيني، وكان اللحاق بركب الفتح بالشهادة هو الهدف الأسمى والغاية الأساس والقصوى عند أصحاب الحسين عليه السلام

ورجاله..

ولم يكن في مهمّة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام القيام بمعنى قصد إسقاط النظام الحاكم هناك، فهو لا يحتاج إلى رجال مقاتلين، ولا يكون في عهدة الرجال البقاء معه وملازمته والقتال معه، وإنما هم مكلّفون بالبيعة على يديه الكريمتين، بل ربما يقال لم تكن مهمّتهم حتّى البيعة على يديه، وإنما كانت المهمّة والتكليف هو اللحاق بالحسين عليه السلام، وهذا ما فعله أنصار سيّد الشهداء عليه السلام، إلّا من استثني منهم.

فأبطال البصرة من سيوف الحسين عليه السلام التحقوا بالحسين عليه السلام مباشرة ولم يقصدوا الكوفة، ومنهم من لحق به عليه السلام في مكة، والحال أنّ الكوفة أقرب لهم من مكة وغيرها من منازل الطريق، كما أنّ نصرة القريب المباشر للمهمّة ـ إن كانت مهمّته الثورة كما يزعم البعض ـ أولى.

فهذا يزيد بن ثبيط وابناه، وعامر بن مسلم العبدي البصري، ومولاه سالم، وسيف بن مالك، والأدهم بن أميّة، خرجوا من البصرة والتحقوا بسيّد الشهداء عليه السلام على مشارف مكة.

قال الشيخ السماوي:

كان يزيد من الشيعة ومن أصحاب أبي الأسود، وكان شريفاً في قومه.

قال أبو جعفر الطبري: كانت مارية ابنة منقذ العبديّة تتشيّع، وكانت دارها مألفاً للشيعة يتحدّثون فيه، وقد كان ابن زياد بلغه إقبال الحسين عليه السلام ومكاتبة أهل العراق له، فأمر عامله أن يضع المناظر، ويأخذ الطريق؟

فأجمع يزيد بن ثبيط على الخروج إلى الحسين عليه السلام، وكان له بنون عشرة، فدعاهم إلى الخروج معه، وقال: أيّكم يخرج معي متقدّماً؟

فانتدب له اثنان عبد الله وعبيد الله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إنّي قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فمن يخرج معي؟ فقالوا له: إنّا نخاف أصحاب ابن زياد، فقال: إنّي والله أن لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان عليّ طلب من طلبني.

ثمّ خرج وإبناه، وصحبه عامر، ومولاه، وسيف بن مالك، والأدهم بن أميّة، وقوى في الطريق حتّى انتهى إلى الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من مكّة.

فاستراح في رحله ثمّ خرج إلى الحسين إلى منزله، وبلغ الحسين عليه السلام مجيئه، فجعل يطلبه حتّى جاء إلى رحله، فقيل له: قد خرج إلى منزلك.

فجلس في رحله ينتظره، وأقبل يزيد لمّا لم يجد الحسين عليه السلام في منزله، وسمع أنّه ذهب إليه راجعاً على أثره، فلمّا رأى الحسين في رحله قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ

فَلْيَفْرَحُوا﴾ ، السلام عليك يا ابن رسول الله ، ثمّ سلّم عليه وجلس إليه وأخبره بالذي جاء له ، فدعا له الحسين عليه السلام بخير ، ثمّ ضمّ رحله إلى رحله ، وما زال معه حتّى قتل بين يديه في الطف مبارزة ، وقتل إبناه في الحملة الأولى[1] ..

وربما كان بعضهم قد أدّى مراسم البيعة ، ثم انطلق إلى المنصور الذي دعى مسلم بن عقيل لنصرته ، وبايعوه من أجل ذلك ، ولم ينتظر أحداً ، ولم نسمع لهم موقفاً بعد مراسم البيعة في الكوفة مع مسلم عليه السلام أو مع غيره .

وقال الشيخ السماوي في ترجمة نافع بن هلال الجملي :

وخرج إلى الحسين عليه السلام فلقيه في الطريق ، وكان ذلك قبل مقتل مسلم ، وكان أوصى أن يتبع بفرسه المسمّى بالكامل ، فأتبع مع عمرو بن خالد وأصحابه الذين ذكرناهم ..

١ . إبصار العين للسماوي : ١٤٥ .

وهكذا فقس ، فمنهم من يمّم وجهه نحو الحسين عليه السلام فوراً ، ومنهم من بايع وخرج ، ومنهم من أرسل بمهمّة من قبل المولى الغريب عليه السلام ..

***

وهذا الضوء مهمّ جداً يكشف لنا موقف الكثيرين من الشيعة والأبطال ، ويفسّر لنا عدم تواجدهم مع المولى الغريب عليه السلام في ساعة العسرة ، وحضورهم حتّى الشهادة بين يدي سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام .

الضوء الخامس:
صدور الأوامر لبعضهم بالخروج

ربما خرج بعض أقطاب معسكر سيّد الشهداء عليه السلام من الكوفة بأمر مسلم بن عقيل عليهما السلام ، وربما كان تبليغ هؤلاء الأطهار بالخروج من صلب مهمّته عليه السلام ، أو لمعرفته

بيومه الموعود الذي ينتظره بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام، وتحديد سيّد الشهداء لتكليفه من قبل، أمّا مباشرة، أو على لسان مسلم بن عقيل عليه السلام أو على لسان رسول من رسله، كما صنع زهير بن القين باعتباره صاحب ميمنة الحسين عليه السلام، فخرج إلى الصحراء وتجشّم العيش على الرمضاء في العراء انتظاراً لسيّد الشهداء عليه السلام[1].

وكذا فعل حبيب باعتباره صاحب ميسرة الحسين عليه السلام، إذ كان عالماً بيومه الموعود في كربلاء، فقد روى الكشي عن فضيل بن الزبير، قال:

مرّ ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّى اختلف أعناق فرسيهما.

١. انظر للتفصيل: كتاب «زهير بن القين علوي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام» للمؤلف.

ثم قال حبيب: لكأنّي بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حبّ أهل بيت نبيه (عليهم السلام)، ويبقر بطنه على الخشبة.

فقال ميثم: وإني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لينصر ابن نبيه فيقتل ويجال برأسه بالكوفة.

ثم افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال: فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رشيد الهجري فطلبهما، فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: افترقا، وسمعناهما يقولان كذا وكذا.

فقال رشيد: رحم الله ميثماً نسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم.

ثم أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتّى رأيناه مصلوباً على باب دار عمرو بن

حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر قد قتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كلّ ما قالوا[١]...

الضوء السادس:

مصادر لم تذكر تقسيم الرايات

إنّنا إنّما نبحث عن احتمالات لاستكشاف موقف هؤلاء الأبرار بناءاً على بعض المصادر التي ذكرت تقسيم العسكر، ودفع الرايات إلى الرجال المقصودين بالبحث، ووقوع قتال ـ مهما كان ـ بين أصحاب المولى الغريب وأصحاب ابن الأمة الفاجرة.

أمّا بناءاً على المصادر الأخرى التي لم تذكر ذلك وهي الأكثر.

من قبيل:

ابن قتيبة في الإمامة والسياسة،

١ . رجال الكشي: ٧٨.

والبلاذري في أنساب الأشراف، وابن سعد في الطبقات، واليعقوبي في تاريخه، وابن أعثم الكوفي في الفتوح، والمسعودي في مروج الذهب، والطبري في إحدى رواياته، وابن شهرآشوب في المناقب، والسيّد ابن طاووس في اللهوف، وابن حجر في الإصابة، وابن الجوزي في المنتظم، والمقريزي في إمتاع الأسماع، وغيرهم[١].

فالقضية حينئذٍ منتفية من رأس، إذ لا رايات مرفوعة، ولا قوات مدفوعة، ولا قتال، ولا اختفاء مفاجئ من ساحة المعركة، فيدخل الموقف ضمن الأضواء السابقة، ويستكشف تماماً كما يستكشف موقف حبيب بن مظاهر وإخوانه البررة.

١ . انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليهما السلام معركة القصر» للمؤلف.

الضوء السابع:

وجود ثلّة مع المولى عليه السلام

قد يقال: إنّنا نكاد نطمئن إلى وجود ثـلّة شديدة قوّية مستميتة في الدفاع عن المـولى القائد مسلم بن عقيل عليه السلام في مسجد الكوفة، وذلك أنّ المصادر اتّفقت على أنّ المولى صلّى صلاة المغرب أو العشاء في مسـجد الكـوفة جماعة.

وكان المسجد حينها ساحة حرب وميدان قتال وسجال حسب الفرض، وهو ملاصق لقصر الخبال، وكان حرس القصر يشرفون على المسجد ويتابعون الأحداث من هناك، فلو كان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قـد أدّى الصلاة دون حارس ولا حـاجز يمـنع عـنه العدو لاغتنموها فرصة سواء المتربّصين من فوق القصر أو من حول المسجد، ولهـجموا على المولى وقتلوه في الصلاة.

الضوء الثامن:

بعض الأنصار خرج بمهمّة

خرج بعض أنصار المولى الغريب لجـلب النصرة واسـتثارة الهـمم وتحشـيد النـاس والقبائل فلمّا رجع إلى الكوفة كان القضاء قد جرى، والقدر قد تحقّق، ووقـعت الواقـعة واستشهد القائد مسلم بن عقيل عليه السلام ...

وربما يكون بعضهم قد أرسل في مهمة من قبل مسلم بن عقيل عليه السلام كما حدث لعابس بن أبي شبيب الشاكري روى الطبري في تاريخة قال:

وقد كان مسلم بن عقيل حيث تحـول إلى دار هانئ بن عروه وبايعه ثمانية عـشر ألفاً، قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري[١]..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

الضوء التاسع:
استشهاد البعض قبل النداء وحبس آخرين

تمّ اعتقال أو أسر بعض الرجال الأوفياء قبل الأحداث وفي خضمّ الأحداث أو عندما كان يتحرّك باتجاه الكوفة أو داخلها قبل أن يبقى مسلم عليه السلام وحيداً كما وقع ذلك للكثيرين من الشيعة المعروفين بالتشيع ..

قال أبو علي مسكويه في تجارب الأمم:

وأمر محمد بن الأشعث بمثل ذلك في من أطاعه من كندة ... وقال لمثل هؤلاء من أهل الشرف ! مثل ذلك فخرجوا، وجاؤوا بعدّة فحبسوا[1] ...

وقال الشيخ السماوي في إبصار العين:

وخرج كثير بن شهاب بن الحصين

١. تجارب الأمم: ٢ / ٩٤.

الحارثي في عدد للقبض على من رآه يريد مسلماً فقبض على جماعة فحبسهم عبيد الله[1].

وروى الطبري عن أبي مخنف قال:

فحدّثني أبو جناب الكلبي أنّ كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له «عبد الأعلى بن يزيد»، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنّما أردتك.

قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟ فأمر به فحبس[2] ..

١. إبصار العين: ٨٨.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

الضوء العاشر:

حملة ألوية المولى الغريب عليه السلام

حمل اللواء في عسكر المولى الغريب أربعة من صناديد البشرية، استشهد إثنان منهم في الكوفة، وهما العباس بن جعدة الجدلي، وعبد الله بن عزيز الكندي، واستشهد إثنان منهما في كربلاء بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام، وهما: مسلم بن عوسجة الأسدي وأبو ثمامة الصائدي.

فإذا كان السؤال يدور حول حملة الألوية فإنّ موقفهم واضح لا لبس فيه ولا غبار عليه، فهم بين شهيد بين يدي مسلم بن عقيل عليه السلام وشهيد بين يدي الإمام عليه السلام ...

الضوء الحادي عشر:

حامل اللواء لا يفرّ

ممّا لا شكّ فيه أنّ حامل اللواء لا يفرّ من المعركة، وهذا من الأوّليات الضرورية المفروضة في حامل اللواء، ولو احتمل في رجل احتمالاً ضعيفاً جدّاً أنّه ممّن يساوره الخوف والتردّد، ويؤدّي به الموقف إلى الفرار لا تدفع إليه راية، لأنّ هزيمة حامل الراية تعني هزيمة العسكر.

هذا في حامل اللواء مطلقاً، أمّا إذا كان حامل اللواء مسلم بن عوسجة، فلا يمكن تصوّره فيه فضلاً عن احتماله وإمكان وقوعه.

وقد عبّر مسلم بن عوسجة عن ثباته واستبساله بقوله لسيد الشهداء عليه السلام أنّه راسخ الموقف ثابت الجنان، ولو لم يجد سلاحاً لقاتل دونه بالحجارة، ولو قتل

سبعين مرّة.

وسيّان عند هذا الوفي القوي الأمين أن يكون في جحفل جرار، أو أن يقاتل وحده، وهو لا يستوحش من الطريق لقلّة سالكيه ما دام على الحقّ وفي صفّ الأولياء والأئمة النجباء عليهم السلام.

وعلى هذا فلا نشكّ في أنّ قبضة ابن عوسجة كانت محكمة على سارية اللواء، وقد التحمت قبضته الأخرى بمقبض سيفه، وأنّه كان ثابتاً إلى أن اختطّ الظلام، وأرخى الليل سدوله الستيرة، وتفرّق عنه الجمع، حتّى لم يعد للجيش صورة العسكر، وللحرب شكل اصطفاف الجند ـ إن كان ذلك قد تحقّق[1] ـ واختفت كلّ مظاهر التسلّح والقتال، وأخرست قعقعة السلاح وصهيل الخيل واصطكاك الأسنّة.

١. انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليهما السلام معركة القصر» للمؤلف.

فماذا فعل بعد ذلك:

الاحتمالات التي يمكن أن تعالج الموقف

يمكن افتراض عدّة احتمالات لمعالجة الموقف:

الاحتمال الأوّل: فرار أولياء الله وأصحاب سيّد الشهداء عليه السلام!!

قال سماحة الشيخ باقر شريف القرشي ـ حفظه الله ومدّ في عمره المبارك ـ وهو يتابع حركة الأحداث في الكوفة أيام تواجد المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام:

.. وقام مسلم بتنظيم جيشه وأسند

القيادات العامّة في الجيش إلى من عرفوا بالولاء والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام ! وهم :

١ . عبد الله بن عزيز الكندي ، جعله على ربع كندة .

٢ . مسلم بن عوسجة ، جعله على ربع مذحج .

٣ . أبو ثمامة الصائدي ، جعله على ربع قبائل بني تميم وهمدان .

٤ . العباس بن جعدة الجدلي ، جعله على ربع المدينة .

واتجه مسلم بجيشه نحو قصر الإمارة فأحاطوا به[1] .

وقال ـ حفظه الله ـ بعد قليل : .. ولم يمض قليل من الوقت حتّى انهزم معظمه ، وصلّى بجماعة منهم صلاة العشاء في الجامع الأعظم ،

١ . حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام ، للشيخ باقر شريف القرشي : ١٥١ نقلاً عن تاريخ ابن الأثير : ٣ / ٢٧١ .

فكانوا يفرّون في أثناء الصلاة ، وما أنهى ابن عقيل صلاته حتّى انهزموا بأجمعهم بما فيهم قادة جيشه !!!! ولم يجد أحداً يدلّه على الطريق ، وبقي حيراناً لا يدري إلى أين مسراه وموجله[1] ...

هذا وقد نصّ ـ حفظه الله ـ قبل قليل على أسماء القادة الأربعة الذين أمّرهم مسلم بن عقيل عليه السلام على جيشه ، وأثنى عليهم معترفاً لهم بالولاء والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام ، ولم يستثنهم هنا ، وحشرهم فيمن فرّ وولّى الدبر ـ والعياذ بالله ـ .

ربما كان في النكات السابقة التي ذكرناها في بداية البحث كفاية للردّ ـ بكلّ أدب وخضوع بين يدي الشيخ حفظه الله ـ على هذا الكلام الذي لا يقاوم النقد ، ولا يصمد

١ . حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام ، للشيخ باقر شريف القرشي : ١٥٥ .

للردّ..

إلّا أن نلتمس لهذه العبارة مخرجاً وتأويلاً، لأنّنا نستبعد أن يقصد المؤلف هذا المعنى مع ما له من قدم راسخ في الولاء ومعرفة الأولياء، كأن يكون المقصود أنّهم تحرّفوا للقتال وانحازوا إلى فئة سيّد الشهداء عليه السلام إن أمكن الحمل على ذلك.

الإحتمال الثاني:

كمنوا في الليل لينطلقوا صباحاً

قد يقال: إنّ أصحاب الألوية وغيرهم من الأنصار الأبرار قد تابعوا المسير في مهمّتهم، وكمنوا في مأمنهم، لينطلقوا غداة غد ـ مع إشراقة الشمس ـ بوجه مشرق لحمل راياتهم والاعتداد بعدّتهم، والذبّ عن دينهم وإمامهم؟

وباتوا تلك الليلة منتظرين انبلاج الفجر وانفلاق الصبح، ليخرجوا بمن يخرج معهم

إلى القصر ومواجهة الأعداء.

فلمّا أصبح الصباح فوجئوا بخبر الهجوم على مسلم بن عقيل عليهما السلام وشهادته، فبادروا إلى الاختفاء عن عيون السلطان لينطلقوا إلى الصحراء، ويلتحقوا بركب سيّد الشهداء عليه السلام بعد أن آيسوا من المجتمع المتخاذل.

وقد تجد عبارة «فاختفى والتحق بالحسين عليه السلام بعد تخاذل الناس عن مسلم عليه السلام» تتكرّر عند ترجمة بعض أنصار سيّد الشهداء عليه السلام في كتاب إبصار العين للسماوي رحمه الله وغيره.

الاحتمال الثالث:

العمل وفق الصلاحيات العامّة

إنّ الأحداث والوقائع سارت بشكل رجّت الأوضاع، فتداخلت الأخبار، وانقطعت الاتصالات، وصار كلّ واحد من أصحاب الألوية يعمل وفق الصلاحيات

العامّة الممنوحة له، ويتّخذ الموقف الذي يراه مناسباً من دون استعلام خاصّ من القائد الأعلى مسلم بن عقيل عليه السلام.

فلمّا رأى أصحاب الألوية تخاذل القوم، ومسارعتهم إلى جهنم زمراً، وانصرافهم عن الحقّ ونصرة سفير الحسين عليه السلام انسلّوا تحت جنح الظلام إلى مأمن يوفّر لهم فرصة اللحاق بسيّد الشهداء عليه السلام باعتبار أنّ وجودهم وعدمه لا يغيّر من المشهد شيئاً.

وهذا الاحتمال يصعب المصير إليه، وذلك لأمرين:

الأوّل:

لما ذكرنا في النقطة الأولى من أنّ حامل اللواء العادي لا يفرّ عن الزحف بتاتاً، ومسلم بن عوسجة وأبو ثمامة وأقرانهم من حملة الألوية يعدوّن حملة للواء من النوع الخاصّ، الذي يعتقد في لوائه أنّه لواء الحقّ

المطلق الذي يتمثّل بالمعصوم عليه السلام، فلا يمكن أن يتصوّر في حقّه الفرار من الزحف وهذا الانسحاب، لأنّه تخلّ عن نصر الحقّ المتمثّل في مسلم بن عقيل عليه السلام يومئذٍ..

إلّا أن يدخل تحت عنوان التحيّز إلى فئة، والانحراف إلى قتال!

ثانياً:

عرفنا فيما سبق انضباط هؤلاء الرجال وتسليمهم، ودقّتهم في الالتزام الشرعي، وعليه لا يمكن أن يتصوّر في حقّهم أنّهم يتّخذون الموقف اعتباطاً دون أن يستعلموا من يعتقدوا وجوب طاعته عليهم بأمر الإمام المعصوم عليه السلام المفترض الطاعة من الله.

أجل ربما يتصوّر هذا في غير حملة الألوية من سائر الأنصار فيحمل على أنّهم لمّا رأوا أنّ القتال في تلك الظروف غير مجد، وأنّ الفئة التي يجب أن ينحازوا إليها إنّما هي سيّد

الشهداء عليه السلام فانسلّوا إلى حيث أمرهم الله.

الاحتمال الرابع:

عملوا وفق الأوامر الصادرة لهم

أن يكون قد زوّدوا بالأوامر من القائد الأعلى مسلم بن عقيل عليه السلام، فعملوا وفق التعليمات الصادرة لهم من قبل؟

كأن يكون قد أمروا بالتخلّي عن الراية والقتال واللّحاق بسيّد الشهداء عليه السلام لمجرّد اتضاح الصورة وانكشاف زيف النوايا، مع الأخذ بنظر الاعتبار العامل الغيبي في جميع مراحل القيام الحسيني وأنّ المولى الغريب كان عالماً بالنتيجة، وعارفاً بالمآل..

فلمّا تفرّق الناس عرفوا أن لا فائدة من بقائهم في الساحة، فتحقّق أنّ الظرف يملي عليهم المبادرة إلى سيّد الشهداء عليه السلام، والانتقال من الكوفة إلى كربلاء الأرض الموعودة، وانتظار يوم عاشوراء.

وبناءاً على هذا الاحتمال يكون الأمر العام من ابن عقيل عليه السلام، وتشخيص الموقف وتطبيق العام على هذا المشهد بالذات منهم.

الاحتمال الخامس:

صدرت لهم الأوامر بعد الرجوع إلى مراكزهم

أن يكونوا قد رجعوا إلى مراكزهم بعد أن اختطّ الظلام وتفرّق الظلام، أو أنّهم استلموا الأوامر من ابن عقيل عليه السلام قبل أن ينفضّ الجمع ويولّون الدبر، بترك الناس وشأنهم، والمبادرة إلى سيّد الشهداء عليه السلام.

والفرق بين هذا الاحتمال وسابقه أنّ الأوامر صدرت من المولى الغريب في الاحتمال السابق منذ البداية، بينما صدرت في هذا الفرض بعد الرجوع إلى مراكزهم وقبل التفرّق.

الاحتمال السادس:

تدخّل العشائر

أن يكون مسلم بن عوسجة وأبو ثمامة والثلّة الطيبة قد لازمت مسلم بن عقيل عليهما السلام في ساعة العسرة، ولكنّ العشائر تدخّلت تحت ضغط العرفاء المدفوعين بالترهيب والترغيب من قبل ابن زياد، فبادرت إلى عملية أشبه ما تكون بالاعتقال والأخذ بالقهر والقوة، لسحب وجوه العشيرة الملازمة لمسلم بن عقيل عليهما السلام، فاضطرّوهم تحت الإكراه والمغالبة والقسر إلى الانسحاب مع قومهم، أو أنّ كلّ واحد منهم اعتقله قومه من دون تدخّل مباشر من السلطة، وإنّما أدّت العشيرة دور الشرطة، فاعتقل كلّ واحد منهم عند قومه ووضع تحت الإقامة الجبرية خوفاً منه أو خوفاً عليه.

وهذا ما فعله كلّ قوم بكبيرهم الملازم

لمسلم بن عقيل عليهما السلام.

قال الشيخ السماوي في الإبصار:

وجعل حبيب ومسلم يأخذان البيعة للحسين عليه السلام في الكوفة حتّى إذا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وخذل أهلها عن مسلم وفرّ أنصاره! حبسهما عشائرهما وأخفياهما، فلمّا ورد الحسين عليه السلام كربلاء خرجا إليه مختفّين يسيران الليل ويكمنان النهار حتّى وصلا إليه[١].

الاحتمال السابع:

هم الذين لازموه وصلّوا خلفه

أن يكون مسلم بن عوسجة والخلّص من إخوانه قد رجعوا إلى مسلم بن عقيل عليهما السلام، وثابوا إليه في نهاية المعركة، ولازموه في المسجد وصلّوا خلفه، ثم تفرّق الناس عنه

١. إبصار العين للسماوي: ٧٦.

عند الغروب، وهم الذين أشار إليهم المؤرّخ بقوله:

«أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد، فلمّا رأى أنّه قد أمسى وما معه إلّا أولئك النفر، خرج من المسجد متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان»..

فيكون هؤلاء الثلاثون، الذين صاروا لمّا بلغ الأبواب عشرة، ثم غابوا على حين غرّة، هم هؤلاء الأوفياء.

ويصوّر لنا ابن أعثم هؤلاء العشرة في مشهد آخر يتفرّقون فيه عن مسلم بن عقيل عليه السلام قبل أن يدخل المسجد، وهم فرسان، فيقول:

«فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه، لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن

عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة.

فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه، ومضى في أزقّة الكوفة، وقد أثخن بالجراحات، حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها: "طوعة"»..

ويتركهم الدينوري يمشون خلفه حتّى قضى صلاة العشاء، ومضى هزيع من الليل، وخرجوا من المسجد إلّا أنّهم اختفوا فجأة، فالتفت مسلم عليه السلام وراءه، فلم ير منهم أحداً، قال:

«فصلّى مسلم العشاء! في المسجد، وما معه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً، فلمّا رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً، فلم ير منهم أحداً»..

فيكون هؤلاء قد وقفوا مع مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الساعة الأخيرة، ثم إنّ مسلم

بن عقيل عليه السلام أمرهم بالتفرّق عنه، وتركه يكمل المشوار وحده، والانطلاق إلى سيّد الشهداء عليه السلام، لأنّه كان عارفاً بمآل الأمور، وقد سلّمه الإمام الحسين عليه السلام كلّ علامات الطريق ومعالمه، وأطلعه على مجريات الأحداث وعواقب الأمور، وبشّره بالشهادة من قبل.

والطاعة والتسليم ميزان الأعمال، وليس المهمّ أن يقتل الإنسان، إنّما المهمّ أن يكون عاملاً بتكليفه الشرعي الذي أملاه عليه إمامه والمفترض الطاعة عليه، إمّا بالإصالة أو بالوكالة، فإذا أمر مسلم بن عقيل عليه السلام بالتفرّق، فالفوز بالتفرّق وكفى.

قال الشيخ محمد جواد الطبسي في الجزء الثالث من كتاب «مع الركب الحسيني»:

هذه الطريقة في عرض الحدث ـ يعني حدث تفرّق الثلّة الباقية مع مسلم عليه السلام بشكل مفاجئ ـ تلقي في روع المطالع أنّ

هؤلاء ليس بينهم وبين جموع الناس الذين انفضّوا بسرعة عن مسلم عليه السلام إلّا فرق واحد، وهو الفارق الزمني في الانفضاض عنه، ليس إلّا.

بل تشعر هذه الطريقة بأنّ هؤلاء القلّة أسوأ بكثير من أولئك الذين انفضّوا عنه بسرعة، وذلك لأنّ هؤلاء تفرّقوا في الختام عنه، وهو أحوج ما يكون إليهم، كما تفرّقوا عنه خفية في غفلة منه! هذا ما يشعر به التعبير «فالتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً...». وهذا ما لا يقبل به اللّبيب المتدبّر، كما أنّه لا يوافق طبيعة الأشياء وواقعها، إذ لنا أن نتساءل:

ما الذي أبقى هؤلاء إلى الأخير مع مسلم عليه السلام أهو الطمع؟ وبماذا يطمع هؤلاء مع قائد قد انفضّ عنه أنصاره، وبقي وحيداً غريباً لا يدري أين يذهب؟! وإلى أين يأوي؟!

أم هو الخوف من عار الانصراف عنه بعد مبايعته، لا شجاعة ولا ثباتاً؟!

أفلا يعني هذا ـ في مثل هذا الحدّ الأدنى ـ أنّ هؤلاء ممّن يرعى القيم والأخلاق، ويتجافى عن كلّ ما يعود عليه بالذمّ؟!

وهل يحتمل من مثل هؤلاء مع مثل هذا الحفاظ والأخلاقية أن يتفرّقوا في بلدهم خفية وفي لحظة غفلة من صاحبهم الوحيد الغريب في أرضهم؟!

أم أنّ الذي أبقى هؤلاء القلّة مع مسلم عليه السلام إلى آخر الأمر هو الشجاعة والإيمان والثبات على البيعة؟!

وأنّهم كانوا من صفوة المجاهدين في حركة الثوار!! تحت راية مسلم عليه السلام، ومن صناديد أهل الكوفة؟!

وهذا هو الحقّ! إذ لا يشكّ ذو دراية وتأمّل أنّ قادة الألوية الأربعة: مسلم بن عوسجة، وأبا ثمامة الصائدي، وعبد الله بن

عزيز الكندي، وعباس بن جعدة الجدلي، وأمثالهم من مثل عبد الله بن حازم البكري، ونظرائه كانوا من القلّة التي بقيت مع مسلم عليه السلام إلى آخر الأمر، ذلك لأنّ من الممتنع على أخلاقية أمثال ابن عوسجة والصائدي وإخوانهم أن يتخلّوا عن مسلم عليه السلام خصوصاً في ساعة العسرة.

إنّ هؤلاء الصفوة من المجاهدين كانوا ممّن اشتهر بالإيمان والإخلاص والشجاعة والثبات، وقد وفّقوا للشهادة في سبيل الله، فهذا مسلم بن عوسجة، وهذا أبو ثمامة الصائدي قد وفّقا للفوز بالشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وهذا العباس بن جعدة الجدلي قتله ابن زياد بعد سجن، وهذا عبد الله أو عبيد اللّه بن حازم البكري المنادي بكلمة السرّ: «يا منصور أمت»، ممّن شارك بثورة التوابين! وقتل فيها ممّا يوحي أنّه اختفى أو سجن في أعقاب أحداث

الكوفة أيـام مسـلمعليه السلام ، وقس عـلى ذلك نظراءهم مـن صـفوة المجـاهدين في حـركة الثوار !! تحت راية مسلم بن عقيلعليهما السلام .

أفهل يعقل أن يتخلّى أمثال هـؤلاء عـن مسلمعليه السلام ساعة العسرة ، ويتفرّقوا عـنه في لحظة غفلة منه ، ويتركوه في الطريق وحيداً غريباً؟!

لا شكّ أنّ التاريخ حينما نـقل لنـا حـادثة تفرقهم عن مسلمعليه السلام كان قد نقلها بظاهرها فقط ، أي بطريقة «صورة بلا صـوت» كـما يعبّر عنها في أيامنا هذه! وذلك لأنّه لم يكن بمقدور التاريخ ، وهو يشاهد حركة الحـدث من بُعد أن ينقل إلينا ما دار من حـوار بـين مسلمعليه السلام ومن بقي معه إلى آخر الأمر .

إنّ التاريخ لا يسجّل الهمس والسرار! وإنّ مـا يـطمئن إليـه المـتتبّع والمـتأمّل هـو أنّ مسلماًعليه السلام اتّفق مع هذه الصفوة على التفرّق فرادى ، والاختفاء تربّصاً بسـنوح الفـرصة

للالتحاق بركب الإمام الحسـينعليه السلام القـادم إلى العراق لمواصلة الجهاد بـين يـديه ، فـلم يكن تفرّقهم عن مسلمعليه السلام إلّا بأمره وإذنه ، وعن امتثال لأمره!

هذا ما يفرضه التصوّر السـليم والتـحليل الصحيح على أساس منطق الواقع وطـبيعة الأشياء .

الاحتمال الثامن:
بقاؤهم مع المولى كحرس

أن يكون بعض الخلّص الذين عبّر عـنهم المؤرّخ «ثلاثين رجلاً» أو «عشرة رجـال» قد تفرّقوا عـنه كـمجموعة محـيطة بـالبطل الهاشمي ، غير أنّهـم لم يفارقوه بـعيداً ، وإنمـا تفرّقوا منتشرين حوله كـهيئة الحـرس ، أو الحماية المخفيّة ، فهم يرقبون ما يجـري عـليه من بعيد حتّى أبلغوه مأمـنه في بـيت الحـرّة المؤمنة طوعة ، وكان الليل قد أرخى سدوله

وأغرق الظلام أرجاء الكوفة، وممّا لا شكّ فيه أنّه بعد أن دخل بيت طوعة انتفى أي احتمال لوقوع المداهمة وقيام الحرب على ساق في ظلمة الليل البهيم، لانشغال عسكر ابن زياد بالناس وتفرّقهم، وملاحقة الشيعة وتتبّع مراكز تجمع المقاتلين وهم كثر من جهة، وخوفهم الشديد من البطل الهاشمي وهم يعرفون صولته وشجاعته وقوّته وتسلّطه في ميادين القتال، سيما أنّ الليل قد فرض عليهم موقفاً لعلّهم لم يرغبوا فيه بتاتاً حيث أنّ القتال في الليل لم يكن معهوداً والحرب إنّما تقوم على المصاولة والتسديد المباشر وتعتمد الرؤية القريبة.

وحينئذٍ أبلغ الرهط رئيسهم إلى مأمن وتركوه هناك حتّى الصباح ليلتحقوا به، فعاجل ابن زياد القوم وداهم المقرّ الجديد قبل أن تبزغ شمس النهار.

بل لا يستبعد ـ فرضاً ـ أن يكون بعض

الخلص من الشيعة قد باتوا محيطين بالدار متنكّرين، كما لو كانوا من عسكر ابن زياد أو جند الكوفة أو اتّخذوا كميناً في المناطق المجاورة لحماية كبير آل عقيل وسفير سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام ولم يألوا جهداً في الدفاع عنه، وقاوموا في بداية المداهمة وأول لحظات قيام الحرب، ثم قتلوا، وقد أغفلهم الراوي وأعرض عنهم المؤرّخ كما هو عادته في كثير من الأحيان، وليس هذا في كتب التاريخ وسلوك المؤرّخين بعزيز.

الاحتمال التاسع:
التوقّف في أصل القصّة

ثمّة بعض المصادر روت لنا خبراً يختلف تماماً عمّا هو المشهور المتعارف، وهي صنفان:

الصنف الأوّل: قتال حتّى الأسر

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال:

وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر[١]..

وروى اليعقوبي في التاريخ قال:

ووجّه ـ أي ابن زياد ـ بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحّة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إياه[٢]..

ولا يخفى ما لهذين المصدرين من قدم وثقل عند ذوي الاختصاص.

ومفاد هذين الخبرين أنّ المولى الغريب قد قاتل سواء وحده أم بمن ثبت معه حتّى أسر.

---

١. الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٢ / ٩.

٢. تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣.

وإن كان لفظ كلا العبارتين للتعبير عن القتال جاء بصيغة المفرد «فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر»، «فقاتل عبيد الله، فأخذوه»، وفي ذلك إشارة إلى وقوع القتال بين شخص المولى الغريب وبين عساكر ابن الأمة الفاجرة، إذ كان هو وحده المطلوب.

وكيف كان! فإنّ المشهد ينفي أن يكون المولى الغريب قد بقي وحده، وتركه الخلّص من أصحابه بالصورة المعهودة!

الصنف الثاني: الهروب قبل القتال!!

في المقتل المشهور لأبي مخنف: إنّ مسلماً عليه السلام هرب بمجرد أنّه سمع بخبر قتل هاني! قال: فلمّا سمع مسلم بن عقيل قتل هاني خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتّى خرج من الكوفة وأتى الحيرة وجعل يدور فيها حتّى بلغ داراً عالية البنيان ـ يعني دار طوعة ـ ....

وكذا في المنتخب للطريحي:

.. لمّا وصل خبر هاني إلى مسلم خرج من الدار هارباً حتّى انتهى إلى الحيرة فأضافته امرأة هناك[١]...

بغضّ النظر عن المناقشة فيهما كما سيأتي إن شاء الله[٢]، فإنّ الخبرين يحكيان خروج المولى الغريب من الكوفة، ولم ينتظر أحداً ليتركه ذلك الأحد فيما بعد!!

١. المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٥.
٢. انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

الموقف الثاني:
موقف الغوغاء والخونة

قسّمنا المجتمع الكوفي يومذاك إلى شرائح ومجاميع تكاد تحصر الناس جميعاً، ودرسنا مواقفهم بالتفصيل في دراستنا عن «معركة القصر»، فمن أحبّ التفصيل فليراجع هناك.

وخلاصة القول فيهم: أنّ الأكثرية الكاثرة التي كانت تمثّل سكان الكوفة يومذاك كانت في الصف المقابل والجهة المعادية متعلّقة بذنب القرد الأموي ومسلوكة في شعراته، فهم بين من لم يكاتب ولم يبايع، وبين من كاتب ولم يبايع، وبين من بايع وخذل قبل النداء، ومن بايع وخذل بعد النداء، وهكذا...

الموقف الثالث:
موقف ابن زياد وأعوانه

مرّ معنا بيان موقف الدعي ابن الدعي أثناء دراستنا لمعركة القصر، وسنأتي على الباقي في دراسات لاحقة إن شاء الله.

ونختصر القول هنا بكلمة:

إنّ الجبان الرعديد قد انجحر في قصره، حتّى إذا سكنت الأجراس وخمدت الأنفاس، خرج مرّة أخرى يزبد ويرعد، ويتهدّد ويتوعّد، وترك السبيل مفتوحاً لجلاوزته وأذنابه يعيثون في الكوفة فساداً وينشرون الخوف والرعب، ويداهمون الدور ويعتقلون، بحجّة البحث عن المولى

الغريب، والحال أنّنا نكاد نطمئن أنّه كان عالماً بمكانه وفق المعطيات التاريخية، ومجريات الأحداث، وحركة الشارع يومذاك، غير أنّه كان يمهّد لتجييش الرعاع والأنذال للخروج إلى كربلاء، وقتال سيّد الشهداء عليه السلام.

الموقف الرابع:
موقف المولى
مسلم بن عقيل عليهما السلام

قبل الدخول في استكشاف موقف المولى الغريب، سنذكر بعض اللفتات المهمّة المؤثرة في البحث:

اللفتة الأولى:
النهاية المريبة

إنّ الخبر المشهور الذي يسجّل لنا أحداث هذه الساعة، يثير الكثير من التساؤل والحيرة عند القارئ للتاريخ تكاد تنتهي به إلى الذهول أو الريبة، من قبيل الثغرات

المذكورة أوّل البحث، والغيمة التي تظلّل موقف الأنصار المخلصين، والنهاية العجيبة لحركة المولى الغريب.

وقد مرّت المناقشات والثغرات التي تتخلّل الخبر، بحيث تجعله يوشك أن لا يستقيم على قدم.

ولولا كراهة مخالفة مشهور الشيعة، لانحزنا إلى خبر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة واليعقوبي في تاريخه.

اللفتة الثانية:

رفض أيّ تصوير لا يناسب المولى

قبل أن ندخل في بيان المشاهد التي صوّرها لنا المؤرّخون ينبغي التنويه إلى أمر مهمّ غاية الأهمية، وهو:

إنّ أيّ تصوير أو مشهد يعبر عن المولى تعبيراً لا يليق به، أو يمسّ ساحة قدسه وجلاله، أو يخرج عن حدود رعاية الأدب

معه، فهو تصوير باطل زائف مردود مرفوض لا يقام له وزن ولا يلتفت إليه، وهو أهون من اعتباره قولاً، وأحقر من التعبير عنه بالمشهد والموقف للمولى، وإذا اضطررنا أثناء البحث إلى استعمال مثل هذه العناوين فمن باب الاضطرار، ونستغفر الله منه، لأنّنا نريد أن نستكشف الموقف الحقّ بإذن الله تعالى، فلا مناص من الإشارة إلى الباطل ليعرف الحقّ.

فما ورد في ألفاظ المؤرّخين عند بيان الساعة الأخيرة لمولانا المعظّم من قبيل «التحيّر» و«التلدّد» وأنّه كان لا يدري ما يفعل كلّها ألفاظ باهتة باردة سخيفة زائفة ممحوقة لا تعبّر عن موقف البطل الهاشمي، وإنّما تعبّر عن تصوّر الراوي أو المؤرّخ ليس إلّا.

اللفتة الثالثة:

الباب الذي خرج منه المولى الغريب عليه السلام

اتّفقت المصادر التي روت خروجه عليه السلام من المسجد الأعظم أنّه عليه السلام توجّه إلى باب كندة وخرج منها.

ومن الواضح أنّ المسجد الأعظم في الكوفة كانت له أبواب كثيرة شارعة من جوانبه، فلماذا اختار المولى الغريب أبواب كندة دون سواها من الأبواب؟

كانت مراد وأحلافها من كندة تسكن في جهة واحدة من الكوفة[1]، فكان خروج المولى من الباب الذي دخل منه، حيث جاء إلى المسجد من جهة مراد التي كان يسكنها.

---

١. انظر للتفصيل: «الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العملي للأستاذ حسن الحكيم».

وباب كندة تقع في طرف يمين المسجد من جهة الغرب، وأقرب ما يكون من الزاوية الغربية بإيوانين[1].

غير أنّ الراوي أغفل عن ذكر مورده وأكّد على مصدره، ليفرض على المتلقّي ما يريد تسريبه بعد قليل من مجاراة الحدث إذ يصف المولى ـ وحاشاه ـ بأنّه كان حائراً متلدّداً لا يدري ما يفعل وأين يذهب وإلى أين يصير!

أمّا إذا عرفنا أنّه خرج بنفس الاتجاه الذي جاء منه، واختار للخروج من المسجد نفس الباب الذي دخل منه دون غيره من الأبواب المتعدّدة، نعرف أنّه كان قاصداً في حركته، متوجّهاً إلى جهة خاصة، وأنّ الأمر ليس كما يصوّرنه.

---

١. انظر: تاريخ الكوفة للبراقي: ٥٨.

اللفتة الرابعة:

دلالات صلاة مسلم بن عقيلعليه السلام

في المسجد الأعظم

اتّفق الكثير من المؤرّخين على أنّ المولى مسلم بن عقيلعليه السلام صلّى صلاته الأخيرة في المسجد الأعظم جماعة.

وفي ذلك دلالات ومؤشرات مهمّة وقوية:

الدلالة الأولى:

السيطرة على الوضع الاجتماعي

الصلاة في المسجد الأعظم من شؤون الوالي أو الحاكم في البلد وفق العرف السائد يوم ذاك، بل ربما كان هذا العرف قائماً إلى يومنا هذا.

وقد أدّى المولى مسلم بن عقيلعليه السلام صلاة المغرب وفي بعض الأخبار ـ كما روى

الدينوري ـ صلاة العشاء في المسجد الأعظم. وهذا يعني أنّ المولى الشجاع كان هو المسيطر على الوضع الاجتماعي إلى تلك الساعة.

ويشهد لذلك ما رواه الطبري عن محمد بن بشر الهمداني، قال:

«لمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه»....

وبعد أن روى خطبته قال:

«ثم ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه»[1].

وهذا يعني أنّ الجبان سلّم مركز قيادته

---

١. تاريخ الطبري: ٥/ ٣٦٨.

للمولى بمجرّد أن أرجف به النظارة وأخبروه بتقدّم مسلم عليه السلام، واكتفى بمجيء ابن عقيل سواء كان مفرداً أو مع الجموع فإنّهم ما زادوا عن الإخبار عن شخص حفيد أبي طالب عليهما السلام فقط «قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه».

الدلالة الثانية:

يلزم أن يكون المسجد خالياً من أذناب ابن زياد وعساكر السقيفة الذين كانوا يحاربون المولى ولو كان منهم أحد لانقض عليه وقتله وهو في الصلاة تماماً كما فعلوا بعمّه أمير المؤمنين عليه السلام.

وبناءاً على الخبر المشهور كان المسجد خالياً من الناس إلّا من الأفراد المعدودين الذين صلّى بهم المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام.

الدلالة الثالثة: جبن ابن زياد وجرذانه

أفادت الأخبار أنّ العدد الذي صلّى بهم المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام يتراوح بين الثلاثين والخمسين في أقصى التقادير كما في إحدى روايات الطبري، وسواء كان المسجد خالياً إلّا منهم كما هو مفاد الأخبار أو كان غيرهم موجود معهم من أتباع ذنب القرد الأموي أو المذبذبين والخونة وغيرهم.

والمفروض أنّ قصر الخبال كان مطلّاً على المسجد الأعظم كما تفيد الأخبار التي تحدّثت عن كلام القوم مع المجتمعين وكما هو لائح إلى اليوم.

وبالرغم من قلّة من بقي مع المولى العظيم، وحسب بعض الأخبار وحدته في المسجد، فإنّ ابن الأمة الفاجرة ابن زياد وحشراته لم يجرؤوا على النزول أو محاولة الالتحام بالقتال مع البطل الهاشمي ـ هذا كلّه حسب الأخبار المشهورة في كتب التاريخ ـ.

بل أفادت أن الجبان الرعديد أمر بشعل النيران أن تدلّى لاستكشاف حنايا المسجد وزواياه قبل أن يخرج.

الدلالة الرابعة: شجاعة الفارس الطالبي

لقد بقي المولى الطالبي والبطل الهاشمي كبير آل عقيل في هذا العدد الضئيل، ثم صار وحده ـ وفق الأخبار ـ والأعداء يحيطون به من كلّ حدب وصوب ويشرفون عليه من أعالي أسوار قصر الخبال وهم في كامل العدّة والعدد، والمسجد الأعظم محاط بالذئاب المتوحشة التي تتربّص به لتفترسه، وهو بأبي وأمّي ثابت الجنان راسخ القدم مطمئن أصلب من الجبال الراسيات لا تزعزعه العواصف ولا تفل من عزمه زعقات الأعداء، وقف بين يدي ربّه القوي الجبار العزيز، فأقام الصلاة واثقاً مطمئناً لم يلتفت إلى الأعداء ولا إلى الذين تفرّقوا عنه

متسلّلين أثناء الصلاة على بعض الأخبار.

الدلالة الخامسة: تكذيب تلدّده

إنّ من يقف للصلاة واثقاً مطمئناً في مثل تلك الظروف لا يمشي متلدّداً في السكك والشوارع بأيّ معنى فسّرنا التلدّد ـ كما شرحناه ضمن هذا البحث ـ.

مشاهد لتصوير موقف
المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

المشهد الأوّل:
انتهاء المشهد دون قتال

تنقسم أخبار هذا المشهد إلى قسمين:

القسم الأوّل:

قرار الرجوع بعد تخاذل القوم قبل أن يبقى وحده

تفيد النصوص التي أنهت المشهد سلمياً دون قتال ـ وهي الأكثر[1] ـ، أنّ المولى

١. انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر»، للمؤلّف.

الغريب حينما رأى القوم قد تخاذلوا وانجحروا عزم على الانصراف والرجوع.

وقد عبّر كلّ مؤرخ عن عزم المولى على الرجوع بما أوتي من ألفاظ أو قدرة على التعبير، أو بما يناسب مراده ومرامه في تصوير المشهد، فربما استخدم ألفاظاً تفيد صراحة أو ما يقارب الصراحة، أو استخدم ألفاظاً تشير بوضوح إلى هذا المشهد بعد أن يكون ذهن القارئ قد فهم أصل التصوير.

قال ابن حبان:

.. ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد، فلمّا قرب من قصر عبيد الله نظر، فإذا معه مقدار ثلاثمائة فارس، فوقف يلتفت يمنة ويسرة، فإذا أصحابه يتخلّفون عنه حتّى بقي معه عشرة أنفس.

فقال: يا سبحان الله! غرّنا هؤلاء بكتبهم، ثم أسلمونا إلى أعدائنا هكذا، فولّى

راجعاً[١]...

وقال الدينوري:

فلمّا سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور.

وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمّه فيقول: انصرف، فإنّ الناس يكفونك، وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع، فصلّى مسلم العشاء في المسجد وما معه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً، فلمّا رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كندة[٢]...

١. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.
٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

يـلاحظ أنّ المـصدرين صرّح أحـدهما بالعزم على الرجوع، والآخـر بـالعزم عـلى الانصراف.

***

وربمـا لم تـصرّح بـعض المـصادر بـلفظ الرجوع والانصراف، ولكنّها تـفيد أنّـه عليه السلام قد رأى تخاذل القوم وانكشافهم عنه فخرج متوجّهاً إلى أبواب كندة، وترتيب الخـروج على رؤية الوضع يفيد ذلك بوضوح..

قال البلاذري:

... فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه؛ حـتّى أمسى، وما معه إلّا نحو من ثـلاثين رجـلاً، فلمّا رأى ذلك خرج مـتوجّهاً نحـو أبـواب الكندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده يتلدّد في أزقّة الكوفة، ليس معه أحد[١]...

١. جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

الطـبري في إحـدى روايـاته: فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثـلاثون نـفساً في المسـجد، حـتّى صلّيت المغرب، فما صلّى مع ابـن عـقيل إلّا ثلاثون نفساً.

فلمّا رأى أنّه قـد أمـسى، وليس مـعه إلّا أولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خـرج من الباب وإذا ليس معه إنسان[١]، والتفت، فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو[٢]..

المسعودي:

فســار إلى ابــن زيـاد، فـتحصّن مـنه، فحصروه في القصر، فلم يمس مسلم ومـعه غير مائة رجل.

١. أبو الفرج، مقاتل الطالبيين: ٦٦ ـ ٦٧.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨ ـ ٣٧١.

فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب، فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق، فنزل عن فرسه ومشى متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يتوجّه[١].

ابن الأثير:

فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً.

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلمّا خرج من الباب لم يبق معه أحد[٢].....

***

١. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٧.
٢. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧١ ـ ٢٧٢، نفس المهموم للقمّي: ١٠٥ ـ ١٠٦.

هذه النصوص بشقّيها الصريح منها والمشير إلى الحدث، وبغضّ النظر عن طريقة التعبير التي تجاوزت أحياناً حدود الأدب مع البطل الهاشمي والأسد العقيلي، إلّا أنّها تفيد جميعاً مضموناً واحداً يتلخّص في أنّ المولى الغريب رأى تخاذل الناس قد تحقّق، بعد أن أصحر الناس عن نيّاتهم وكشفوا حقائقهم وتفرّقوا عنه، من غير عجب منه إذ أنّه لم يتفاجئ بذلك[١]، فعزم على الخروج في حين كان معه جماعة يتراوح عددهم بين العشرة والثلاثين، عدا ما انفرد به المسعودي حيث قال: «فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة ..».

١. انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

النتيجة:

أوّلاً:

يبدو واضحاً من النصوص المذكورة آنفاً أنّ المولى كان عالماً عارفاً عازماً على ما فعل، قد قرّر الخروج لما رأى من تخاذل الناس، وكان خروجه مبادرة منه، وليس عملاً مفروضاً عليه، فعله مجبراً، وخرج لا يدري أين يذهب ولا ما يفعل، وإنّما كان قراراً متخذاً، وعزماً واعياً محنكاً حاذقاً.

ثانياً:

لا يقال: كيف ترك المولى الميدان وعزم على الخروج، وذلك للمسوّغات التالية:

المسوّغ الأول: سفير وليس ثائراً

درسنا في رسالة مستقلة مهمّة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وعرفنا هناك أنّه عليه السلام كان سفيراً ولم يكن ثائراً، ولم تكن

الثورة والقتال من همّه ولا مهمّته.

أضف إلى أنّ الابتداء بالقتال والحرب ليس من أدب أهل البيت عليهم السلام ولا سننهم وسلوكياتهم.

فهو لم يكن مقاتلاً حتّى يصدق عليه ـ والعياذ بالله ـ أنّه ترك ساحة القتال وخرج مع وجود بعض الأعوان ـ حسب اختلاف عددهم في المصادر ـ بين العشرة والثلاثين، إذ لو كان وحده في ميدان قتال لما ترك الميدان وولّى الدبر حتّى يأخذ منهم ثأره قبل أن يقتل.

خرج في الناس بعد أن نادى فيهم، فتفرّقوا عنه، وبقي في ثلّة قليلة جدّاً، فعزم المولى على الرجوع، وبالفعل رجع!

المسوّغ الثاني: نهاية المشهد المفروضة

إنما يستكشف الموقف هنا من خلال نصوص المشهد نفسه التي نصّت جميعها على

تفرّق الجمع دون قتال ومصادمات، فمن الطبيعي جدّاً أن يعزم المولى الغريب على الرجوع والخروج حينما يتفرّق الجمع، لأنّه قد صلّى في المسجد، وهبط الظلام وأرخى الليل سدوله، وليس في المسجد ـ حسب أخبار المشهد ـ أحد، فلماذا يبقى المولى الغريب في المسجد وحده أو مع هؤلاء العشرة أو الثلاثين؟!

لا قتال حتّى يقاتل، ولا عسكر عنده حتّى يدير شؤونه، ولا ناس حتّى يحشّدهم ويحثّهم ويخطبهم ويدبّر أمرهم، ولا عدوّ ـ حسب مصادر المشهد ـ حتّى يتربّص به ويحاربه ولو وحده، أو يحاججه، فما يصنع في المسجد إذا بقي فيه وحده أو مع من بقي معه؟!

أليس هذا هو الموقف الطبيعي والبديهي الذي ينبغي أن يكون؟

وإن لم يكن، فما هو البديل؟ هل يبات المولى في المسجد وحده أو بمن معه من الثلّة

المتبقّية؟ أو أنّه يخرج ويسلك الطريق الذي دخل منه إلى المسجد؟ وهذا هو ما فعله المولى الحكيم عليه السلام.

المسوّغ الثالث: خلو الميدان

تفيد نصوص المشهد أنّ الناس الذين كانوا قد خرجوا لنداء المولى قد تفرّقوا وانصرف كلّ واحد منهم إلى شأنه تحت وطأة أيّ سبب من أسباب التخذيل ومواده[1].

وتفيد أيضاً أنّ العدوّ لم يسجّل حضوراً في تلك الساعة، إذ لم تشر النصوص إلى وجود عسكر العدوّ.

وبعبارة مختصرة: تفيد النصوص خلوّ الميدان والمسجد والرحبة من الناس، وكأنّ تلك البقعة لم يكن فيها ديّاراً، فإذا كان الأمر

---

١. انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

كذلك، فمن الطبيعي أن يترك المولى تلك الساحة، ويخرج من ذلك الموقع.

المسوّغ الرابع:

معنى من يدلّه على الطريق

أن يقال: إنّ ما ورد من تعبير على لسان المؤرّخين تشير إلى أنّ المولى الغريب عليه السلام لم يجد من يدلّه على الطريق أو يدلّه على منزل، وربما حتّى تعبير «يدلّه على منزله»، كلّها كناية عن وحدته وغدر الناس وتخاذلهم عنه، بمعنى أنّه بقي وحده بحيث لو كان يحتاج إلى من يدلّه على الطريق، أو من يدلّه على منزل لم يجده، ولم يكن في أولئك الأشرار من تحمله حميّته، أو تستجيشه مشاعره ونخوته، فينهض لاستضافة البطل الغريب حتّى لو لم تلزمه بيعة، فيلزمه الذمار والذمّة والحفاظ والغيرة.

فهو في الحقيقة تصوير لخذلان الناس

وخمود الأخلاق عندهم، وتحلّلهم عن أدبياتهم التي كانوا يزعمون أنّهم يرعونها بحكم جبلّتهم وتربيتهم ونواميسهم الاجتماعية، وليس تصويراً لموقف المولى الغريب عليه السلام.

أجل! تسوّغ هذه الصياغة إذا احتملت العبارة التفسير بهذا المعنى، وصار مؤدّاها يكشف عن طباع المتخاذلين، ويعبّر عن مظلومية سفير الحسين عليه السلام، ويخلو الخبر ممّا يمنع من قبوله، من هذا الحيث.

ثالثاً:

هذا المشهد يؤكّد ما ذكرناه في الاحتمال السابع، من بقاء هؤلاء القوم معه حتّى أمرهم المولى بالتفرّق عنه، فالمشهد يصوّر اتّخاذ المولى قرار الخروج في حين كان هؤلاء معه، ثم تفرّقوا عنه!

رابعاً:

إنّ المولى عزم على الخروج وترك الميدان عن علم، كما ذكرنا، فهو قد أسمع الزمن وأفهم كلّ ذي بصيرة أنّ خروجه قد حقّق أغراضه بأيّ دافع كان من الدوافع المذكورة في بحثنا عن معركة القصر، حيث انكشفت نوايا القوم وإعراضهم عن كتبهم بالخذلان والتخلّي عن الحقّ في ساعة العسرة، وتنكّرهم للقيم والعهود والمواثيق والبيعة، ويؤكّد ذلك أيضاً ما نقله ابن حبان عنه عليه السلام.

القسم الثاني: قرار التوجّه إلى بيت طوعة بعد أن بقي وحيداً

ربما اشتركت أخبار هذا القسم بأخبار القسم الماضي في الكثير ممّا استفدناه هناك، والفرق الأساسي بينها أنّ في أخبار هذا القسم يبقى المولى الغريب وحيداً، ثم يتوجّه إلى باب دار طوعة، فتكون المسوّغات

المذكورة في القسم الأوّل أبلغ هنا وأعمق تأثيراً.

وهذه الأخبار لا تفترض بقاء أحد مع المولى الغريب ولا تذكر العشرة أو الثلاثين الذين بقوا معه إلى باب المسجد!

كما أنّها لا تشير إلى الخروج من المسجد وكأنّها تسجّل الحدث في الطرقات!

قال الطبري:

.. فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة[1].

وقال ابن الجوزي:

وجعلوا يكلّمونهم، فتفرّق من كان مع

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١؛ تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب، فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه[١]..

المشهد الثاني:

خرج إلى دار طوعة متسلّلاً

قد يقال: إنّه عليه السلام قد خرج إلى منزله أو إلى دار طوعة بالخصوص على غفلة من عيون الظالمين سالكاً بين مئات المقاتلين دون أن يعرفونه، فدخل الأزقة، ولم يتلدّد خوفاً أو فرقاً، وإنما بحثاً عن البيت الذي يريده ـ وهو بيت طوعة ـ أو يقال: أنّ قصّة التلدّد من زيادات المغرضين، فوصل دار طوعة، وحلّ عندها ضيفاً بعد أن عرفته.

١. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

مناقشة المشهد:

أوّلاً:

لم نجد لهذا الفرض ما يؤيّده أو يشير إليه في المتون التاريخية حسب فحصنا.

ثانياً:

إذا كان خروجه متسلّلاً كيف رصده الرواي، ونقل لنا ما جرى عليه؟

ثالثاً:

هذا النمط من الخروج لا ينسجم مع شهامة المولى، ويقلب الصورة تماماً، فيكون المولى ـ والعياذ بالله ـ هو الذي تخلّى عن الناس وتركهم في ساحة السجال والقتال وانصرف عنهم، فبقوا ليس لهم راع ولا قائد.

وهيهات ثم هيهات حتّى المات أن ينسب مثل هذا الموقف للبطل الهاشمي.

وقد ناقشنا ذلك أثناء الحديث عن خبر ابن سعد، الذي قال: «فهرب».

المشهد الثالث:

استمرار القتال إلى بيت طوعة

أن يكون قد استمرّ المولى عليه السلام بالقتال ولاحقه الأنذال، فوصل في صولاته وجولاته ومناوراته إلى دار طوعة، فشجّعته وناصرته، ثم فتحت له دارها نصرة له، فتركه القوم بعد أن اطمئنوا أنّه قد دخل هذه الدار ...

قال الشيخ أسد حيدر رحمه الله في كتابه «مع الحسين عليه السلام في نهضته» تحت عنوان «الحلقة المفقودة» بعد كلام له:

أجل! أين المخلصون من أنصاره؟ ثم كيف يستطيع مسلم أن يخرج بمفرده وجواسيس ابن زياد تلاحقه، فكيف غفلوا عنه ويخرج سائراً في أزقّة الكوفة، ولا يعرفه أحد، حتّى

انتهى به المطاف إلى دار طوعة وأقعده العطش على بابها، فتخرج وتجري بينهما محاورة:

يا رجل ما جلوسك على باب داري؟

أريد شربة ماء!

فتدخل وتأتي بالماء، فيشرب ولم ينصرف، فتخرج إليه وإذا به في مكانه فتقول:

ما جلوسك في باب الدار؟ لا أحلّ لك ذلك، انصرف لأهلك!

فيقوم مسلم وهو يقول: ليس لي أهل ولا عشيرة.

فتقف المرأة هنا موقف حنان وشهامة فقالت له: من أين أنت؟

فانتسب لها وأضافته تلك الليلة..

وهي قصّة طويلة ذكرها المؤرّخون، ولا أريد أن أقول أنّ شخصية «طوعة» هي شخصية وهمية لا وجود لها في مجال هذا

العرض التاريخي، كلّا فإنّ طوعة لها ضلع في هذه الحركة ومشاركتها مع أهل الكوفة في تهيئة جوّ السخط ضدّ الأمويين، ولكن الإطار الذي برزت فيه صورتها في هذا الحادث هو غير إطارها الواقعي، ويمكن وضعها في غيره، ولكن لا نريد أن نتمحّل في الفرضيات والوهميات، فإنّ طوعة إمرأة عربية موالية لآل محمد ﷺ شأنها شأن كثير من نساء الكوفة اللواتي أثبت التاريخ مواقفهن الحاسمة في مناصرة أهل البيت عليهم السلام.

ومن الممكن أن يكون وقوع مضايقة مسلم ومن معه من قبل جيش ابن زياد كان في محلّة كندة، قرب دار طوعة، فقامت بواجبها من مساندة مسلم وتشجيعه وإعطائه الماء أثناء حملاته[1].

١. مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ١١٢.

وبناءاً على هذا يكون مسلم بن عقيل ومن معه قد قاتلوا كلّ في جبهته حتّى بلغ المولى الغريب إلى كندة وهو يقاتل، فناصرته طوعة وجرى لها مع سفير الحسين عليه السلام موقفها الذي خلّدها في التاريخ.

بل ربما يفترض أنّ المولى الطالبي قد قاتل حتّى بلغ كندة، فلمّا وصل وهو يقاتل إلى باب طوعة استضافته وقد جنّ الليل، فترك القوم القتال وكأنّ هدنة وقعت بينهم حتّى أدركهم الصباح وعادوا إلى الحرب ثانية.

ويؤيّد احتمال استمرار القتال إلى الليل ما رواه الطبري في تاريخه:

... وإنّ ابن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً، وأنّ شبثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنّك سددت على الناس وجه مصيرهم، فافرج لهم

ينسربوا[١].

وقال الطبري في تاريخه أيضاً: قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شمالاً إلّا وذهبت منهم طائفة؛ الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة[٢]....

وقال ابن نما رحمه الله في مثير الأحزان: واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل[٣]...

وروى النويري في نهاية الإرب:

.. وكان فيمن قاتل مسلماً محمد بن الأشعث وشبث بن ربعي ـ وهو أحد من كتب إلى الحسين ـ والقعقاع بن شور وجعل

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٨١.

٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

٣. مثير الأحزان: ٣٤.

شبث يقول: انتظروا بهم إلى الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم، فافرج لهم يتفرّقوا[١].

وقال ابن سعد:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو من ستين رجلاً، فغربت الشمس، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد، وجاء الليل فهرب مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها![٢]

---

١. نهاية الإرب: ٢٠ / ٤٠٤.

٢. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.

المشهد الرابع:

قصده بيت طوعة

أن يكون قد استمرّ بالقتال معهم وأدار وجهة الحرب بنفسه قاصداً عامداً حتّى سلك بالقوم إلى زقاق دار طوعة، لأنّه كان عازماً على الوصول إليه، وقد تمّ التخطيط لذلك، وكانت طوعة بانتظاره، ففسّر المؤرّخ وقوفها لانتظار المولى بانتظارها لابنها فقال: إنّها كانت تنتظر ولدها، ومن أين عرف المؤرّخ نيّتها في الوقوف ولم تصرّح به طوعة ولا ولدها، وكلّ ما شاهده الرواي انتظارها، فنسبه إلى ولدها، وهي في الحقيقة كانت بانتظار المولى.

وكانت طوعة ممّن خفّ مع المولى مسلم عليه السلام، كما روى الدينوري، وكانت مولاة لبني هاشم، كما نصّ الاسفرائيني في

نور العين[١].

قال الدينوري: فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها[٢].

فلمّا وصل إلى دارها وقد جنّ الليل وتعذّر القتال في ظلمة الليل البهيم الذي شهد ابن يساف أنّها كانت ليلة مظلمة ـ كما في الطبري ـ دخل دارها وبدخوله وقعت الهدنة حتّى الصباح.

وهذا المشهد يحتاج إلى إثباتات وشواهد كافية تدلّ عليه أو تشير إليه.

المشهد الخامس:

ذهب إلى دار طوعة بعد هدنة

أن تكون الحرب قد استمرّت حتّى قريب

١. بغضّ النظر عن صحّة نسبة الكتاب للاسفرائيني فإنّ الكتاب يعدّ نسخة قديمة.
٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

المغرب أو العشاء ـ كما ذكرنا فيما مرّ من النصوص ـ فلمّا صلّى المولى في مسجد الكوفة وقعت بين الطرفين هدنة فرضها الليل والظلام، فصرف المولى أصحابه المتبقّين معه وتوجّه نحو بيت طوعة.

قال ابن أعثم في الفتوح:

ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة، فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقّة الكوفة، وقد أثخن بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها: طوعة[1].

ينتهي المشهد بعد القتال حين تغيب

١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٠.

الشمس، ويختلط الظلام، فيدخل المولى عليه السلام إلى المسجد ليصلّي، ثم يخرج حتّى يصير إلى دار طوعة.

المشهد السادس:

طوعة هي التي دعته

هذا المشهد ينسجم مع فرض عدم وقوع القتال كما ينسجم مع فرض وقوعه، فعلى كلّ تقدير، حينما بقي المولى الغريب عليه السلام وحيداً، وقد دهمه الليل، فربما جلس ـ فداه روحي ـ ليستريح فجاءته طوعة، فطلب منها الماء، وكان من الطبيعي أن تفتش عنه وتسأله، في تلك الليلة الرهيبة، وهي ترى رجلاً تجلّله أنوار السماء ويحفّه بهاء العظماء، وتشرق من جبينه أضواء العترة النبوية الطاهرة، وهو متعب البدن، غير أنّه قوي متماسك رغم ما جرى عليه، ثابت الجنان راسخ القدم، لا يعتريه خوف في زمن عزّ فيه

الشجعان وهرب الفتيان وفرغت منهم الطرقات.

غريب غير فَرِق.. لا يستفزّه الناس ولا تخيّبه الغربة! وحيد غير مستوحش! مطلوب لا يفرّ ولا يهرب! انماث الناس عنه وهو صلب يملؤه الإيمان رصانة ومتانة وثباتاً! تهاوت تحت وطأته وإرادته الإرادات، يتفجّر العزم والهمّة من جوانبه في وقت خاف العزم أن ينقرض في الكوفة، فكأنّ العزم والهمم ارتعشت ولجأت إليه.. من هذا الغريب الذي صار هو الوحيد صاحب الأرض، وصار الناس في الكوفة يومها كلّهم غرباء؟!

فسألته: من أنت؟ بعد أن روّت كبده الحرّى، وسقته ماءاً!

فأخبرها وقال لها: أنا مسلم بن عقيل!

روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قال:

.. ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه، فقال لها: يا أمة الله! اسقيني ماءاً، فسقته، وقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل، فدخل.

فلمّا أخبرها أنّه مسلم بن عقيل قالت له: ادخل، فدخل..

فإذا أضفنا على ما رواه ابن الجوزي ما قرّره الدينوري إذ قال: أنّ طوعة كانت ممّن خفّ مع مسلم عليه السلام، يتأكّد هذا المشهد، ويقوّي احتمال أن تكون طوعة مفردة ضمن مجريات الأحداث، وأنّها كانت على علم بمجيء المولى عندها بعد انتهاء الحدث، وأنّها كانت تنتظره.

وباعتبار أنّها امرأة لم تألف الخروج ولم تكن برزة تحضر مجالس الرجال، فهي تعرف المولى بالاسم ولا تعرفه بالهيئة والرسم، فلمّا أصحر لها عن اسمه طبّقت

الاسم والصفة على المولى فعرفته وقالت له: ادخل، فدخل.

المشهد السابع:

قاتل حتّى الأسر

في هذا المشهد صورتان:

الصورة الأولى: رواية الطبري:

في تاريخ الطبري: قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف قال:

لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شمالاً إلّا وذهبت منهم طائفة؛ الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر

بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم.

فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة[١].

فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان!

فقال ابن زياد: ما قال لك؟

قال: إنّ مسلماً في دار فلان.

قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقداً!

فقالا: ما نملك ذاك.

فانطلق معهما حتّى أتاه فأمر به، فكتف ثم قال: هيه هيه يا بن خليه ـ قال الحسين في حديثه: يا بن كذا ـ جئت لتنزع سلطاني! ثم أمر به فضربت عنقه[1]..

مناقشة الخبر

هذا الخبر فيه مناقشات ومخالفات للمشهور كثيرة:

المناقشة الأولى:

إنّ الخروج كان في الليل، قال: «لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار... فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة..».

١. يفيد الخبر استمرار القتال إلى الليل، واستمرار المجموعة الباقية مع مسلمعليه السلام بالقتال دفاعاً عنه.

المناقشة الثانية:

إنّ ابن زياد نزل إلى المسجد وحصل القتال بحضوره، والحال أنّه كان يخاف النزول، وأمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون..

المناقشة الثالثة:

إنّهم دخلوا على مسلم بن عقيلعليهما السلام نفس الليلة وأخذوه إلى ابن الأمة الفاجرة، فأمر بقتله.

المناقشة الرابعة: إباء البطل الهاشمي

نسي الراوي أنّ مسلم بن عقيل بطل من أبطال بني هاشم، أو أنّه جهل ذلك، أو تجاهله لمصلحة اقتضاها..

يجلس ابن الأمة الفاجرة في ديوانه ويرسل رجلين نكرتين لم يذكرهما التاريخ حتّى بالاسم.. ليلقيا القبض على الغضب

الإلهي المصبوب على الكفرة وأبناء الأدعياء؟!

رجلان تافهان مجهولان يقتحمان على الليث الطالبي عرينه ويدعوانه! يدعوانه إلى الدعي ابن الدعي؟!

الصاعقة التي نزلت على ابن الدعي.. الحمم الحارقة التي أرعبت الجبان.. الريح العاصف المهلك الذي جعل ابن زياد يرتعش ويهتزّ ويختفي خلف أسوار القصر.. الموت الأحمر الذي أرّق الرعديد وسلب النوم من عينه، وجعله لا يعرف أين يكون الأمان! مسلم بن عقيل يطلب الأمان من رجلين لا يعرفهما، ولا يعرفهما الراوي والمؤرّخ وبقيا في ظلمات المجهولية إلى اليوم؟!

يقول لهما: اعقدا لي عقداً؟!

فيقولان: لا نملك ذاك!

فينطلق معهما مسلم بن عقيل عليه السلام!!

«فخرج مسلم فدخل داراً من دور

كندة...

قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقداً!

فقالا: ما نملك ذاك.

فانطلق معهما حتّى أتاه»..

أوليس مسلم حفيد أبي طالب سفير الحسين عليه السلام وابن عمّه وأخاه؟ وقول إمامه عليه السلام ملء سمعه وقلبه: والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ قرار العبيد؟!

مسلم بن عقيل الذي نثر المنية في الكوفة نثراً، وأذاقهم الموت كأساً مرّاً، وجعل النوائح النادبات تجوب الكوفة، فلا يفتر لها أنين ولا يهدأ لها صراخ وعويل! يطلب عقداً باهتاً من رجلين أفرزتها الكوفة التي خذلته وتنكّرت للبيعة، وأرسلها ابن زياد

الذي لا يرعى لله إلّاً ولا ذمّة؟!

يبدو أنّ هذه الفرية الساذجة الهابطة بمستوى من السقوط والتفاهة بحيث لا يحسن الاسترسال في مناقشتها، ونكتفي بهذا القدر من الكلام الذي ذكرناه غيرة على المولى الغريب، لا تكذيباً للبهتان، إذ لا يصدّق هذه القصّة من أنعم عليه الله بنعمة العقل والإيمان.

***

كيف كان! بالرغم ما في الخبر من مناقشات ومخالفات للمشهور، فإنّه يفيد أنّ المولى الغريب عليه السلام قاتل، ثم دخل إلى دار من دور كندة، وأسر في نفس تلك الليلة، ثم قتل عليه السلام.

الصورة الثانية:

رواية ابن قتيبة واليعقوبي:

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال:

وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر[١]..

وروى اليعقوبي في التاريخ قال:

ووجّه ـ أي ابن زياد ـ بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحّة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إياه[٢]..

يمكن بيان ما أفاده هذان المصدران من خلال الإشارة إلى عدّة ملاحظات:

١. الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٢/ ٩.

٢. تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢/ ٢٤٣.

الملاحظة الأولى: مخالفة المشهور تماماً

إنّ هذا المشهد يختلف تماماً عـن المشـاهد السابقة حيث أنّه لا يروي تفاصيل الخروج إلى القصر، وإنما يصوّر تقدّم جرذان القصر نحو المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، أي أنّه يرسم الصورة عكس المشهور تماماً.

الملاحظة الثانية: قدم المصادر

لا يخفى مـا لهـذين المـصدرين مـن ثـقل وقدم..

فأقدم مصدر ـ حسب وفاة المؤلف ـ ممّـا توفّر لدينا هو ابن سعد (ت ٢٣٠)، ووفـاة ابن قتيبة «٢٧٦» وولادته «٢١٣» فهو إذن معاصر لابن سعد.

فرواية ابن سعد للأحداث وفق المشهور لم تكـن بـالتفصيل الوارد في مـثل الطـبري وغيره، وليس لها مرجّح خاصّ يـرجّـحها على رواية ابن قتيبة واليعقوبي.

فالمشهد وارد في مـصدرين قـديمين لهـما وزنهما وثقلهما في عالم التاريخ والتحقيق.

الملاحظة الثالثة:

يختلف هذا المشهد عن المشاهد الأخـرى أنّه يرسم لنا صورة تنسجم مع أدبيات أهل البيت عليهم السلام ورسـومهم في الحـرب والقـتال، فالمعروف المتّفق عليه أنّ أهل البـيت عليهم السلام لم يبدؤوا بحرب ولا قتال قطّ، وتسيير العسكر غير الابتداء بالحرب والقتال، وهـذا مـا لا يحـتاج إلى تـدليل وبـرهان، فـإنّ أمـير المؤمنين عليه السلام سار إلى البصرة ولم يبدأ القتال وكرهه، وكذا فعل في صفّين، كما سمعنا مـن سيّد الشهداء عليه السلام ذلك في كربلاء حـينما أراد مسلم بن عوسجة أن يـرمي شمـراً فـقال له سـيّد الشهـداء عليه السلام: إنّي أكـره أن أبـدأهم بالقتال[1].

١. انظر للتفصيل: «مسلم بن عوسجة أوّل شهداء الله

وفي خبر ابن قتيبة واليعقوبي يبدو واضحاً أنّ ابن زياد هو الذي أرسل الشرط فخرج إليهم الليث الطالبي يذبّ عن نفسه وحريمه .. فيكون ابن الأمة الفاجرة هو الذي بدأ القتال وهو الذي سيّر العساكر، ولم يكن المولى الغريب قد جمع الجمع وكردس العسكر وجيش الجيوش.

الملاحظة الرابعة:

يلاحظ أنّ عبارتي ابن قتيبة واليعقوبي كلاهما ترويان القتال بصيغة المفرد، وتنسبان القتال للمولى الغريب وحده، وإن كان اليعقوبي وهو متأخّر عن صاحبه يخبر عن وجود أصحاب مع المولى الغريب عليه السلام «وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحّة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذوه»، غير أنّه يرجع ليتحدّث عن

← في معسكر الحسين عليه السلام» للمؤلف.

القتال بصيغة المفرد.

الملاحظة الخامسة:

مفاد خبرهما ينفي كلّ ما رواه ابن سعد ومن حذا حذوه، إذ يفيدان أنّ مسلماً عليه السلام كان في دارته وأرسل ابن زياد شرطته إليه، ووقع القتال بينه وبينهم، فلا نداء رفع ولا عساكر تتجحفل ولا ناس يموجون، وهكذا بقية الأحداث التي تطوّرت عند المؤرّخين كلّما تقدّم بهم الزمن.

الملاحظة السادسة:

إذا قال القائل بخبرهما فإنّ الكثير من المحاذير التي كانت تشوب الخبر المشهور تنتفي وتذوب، من قبيل ما نسب للمولى من حيرة في أمره، وتلدّد في الشوارع، والمحاذير التي تترتّب على النداء، والخروج إلى القصر وكثير كثير ممّا جعل المحقّقين والمحلّلين

التاريخيين يقفون موقف الذاهل، أو الباحث عن المسوّغات والمبرّرات للكثير من المشاهد التي ترسمها الرواية المشهورة!

الملاحظة السابعة:

رسم المشهد وفق خبرهما لا يمسّ الثابت التاريخي الناصّ على خذلان أهل الكوفة ونكثهم بيعتهم، وتركهم سيّدهم وحده وتمسّكهم بذنب القرد حبلاً بدل حبل الله الذي أمرهم الله أن يعتصموا به.

وذلك: لأنّهم حسب هذا الخبر أيضاً تخلّوا عن المولى الغريب، بالخصوص في لفظ اليعقوبي، فهم لم ينهضوا للذبّ عن مولاهم ولا الدفاع عنه والوقوف سدّاً منيعاً دون اقتراب أزلام الطاغية الحقير إلى حريم المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام.

الملاحظة الثامنة:

أهمّ مشكلة تواجه الذهاب مذهب هذين

المؤرّخين التشكيك بالمشهور عند الشيعة أعزّهم الله وحماهم، ومناقشة الصورة المشهورة عندهم، ويمحو دور طوعة المرأة الجليلة التي مثّلت في ساعة من ساعات الكوفة كلّ الشرف والحفاظ والذمام والرجولة والبطولة والوقوف إلى جانب الحقّ المهدور.

فلو أمكن الجمع بالدمج بين المشاهد المشهورة وهذا المشهد بحيث نتخلّص من تلك المحاذير ونفلح بإبقاء طوعة في موقعها، لكان حسناً.

ولا يخفى أنّ المشهد حسب ما يصوّره هذان المؤرّخان يهزّ الغيور من الأعماق ويخلع قلب المحبّ، فيذوب قلبه دموعاً، إذ يبقى المولى الغريب وحده لا ناصر له ولا معين، وتبقى شهادته تصدع الروح وتفتّت الأكباد، غير أنّ خبر طوعة سيختفي، وهذا بنفسه قد يكون محذوراً لا يسهل اجتيازه.

المشهد الثامن:

قاتل الأنصار لينجو المولى

روى ابن سعد والذهبي قالا:

.. فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو من ستّين رجلاً، فغربت الشمس، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد، وجاء الليل، فهرب مسلم! حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها![1].

بغضّ النظر عن تعبيره الوقح غير المؤدب مع المولى، فإنّ الصورة التي يرسمها تفيد أنّ الستّين الذين ثبتوا مع المولى الغريب عليه السلام قاتلوا أصحاب عبيد الله بن زياد حتّى كثروهم أولئك الأوغاد، وإنما استمرّ الأبطال

١. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.

في مقارعة أشباه الرجال ليشغلوهم عن المولى الغريب عليه السلام بأنفسهم ليذهب إلى مأمنه، سواء كان في بيت طوعة أو غيره، فعبّر المؤرّخ عن هذا المشهد بما عبّر.

قال حصين: فحدّثني هلال بن اساف، قال: لقد تفرّقوا عنه، فلمّا قلّت الأقوات [الأصوات] فقيل لابن زياد: ما نرى معه كبير أحد، فأمر، فرفعت حرادي فيها النار، حتّى نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين.

فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم قاتلوا مع مسلم، فجرح مسلم جراحة، وقتل ناس من أصحابه، ولجأ مسلم إلى دار من دور كندة[1].

١. أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧١، ٤٢٢ ـ ٤٢٣.

وهنا أيضاً نقول: بغضّ النظر عن المناقشات التي ناقشنا بها الخبر، فإنّ النصّ قد يفيد أنّ الخمسين قاتلوا أصحاب ابن زياد كي يحموا المولى ويشغلونهم عنه حتّى يبلغ مأمنه، سيما أنّ الظلام قد هبط وأزفت المعركة على النهاية.

بل يمكن أن يقال ـ كما أشرنا إلى ذلك[1] ـ أنّ كلّ من ذكر القتال إنّما عنى قتال هؤلاء الخمسين أو الستين لا غير، والقتال كان يستهدف شخص المولى بالاعتقال أو القتل، بمعنى أنّ أذناب الطاغية الدني رأوا المولى بعد أن تفرّق الناس في ثلّة قليلة فطمعوا في أسره أو قتله، فهجموا عليه، فقاتل دونه الأوفياء وأخرجوه سالماً من بين الأوغاد.

١. انظر: «مسلم بن عقيل عليهما السلام معركة القصر»، للمؤلف.

وهذا المشهد يعالج بعض المحاذير ويفسّر بعض الغموض، ويجيب على بعض الأسئلة التي سجّلت على مواقف الأوفياء وغير ذلك ممّا مرّ أثناء البحث.

بيد أنّ سؤالاً كبيراً قد ينبثق في وجه هذا التصوير، وخلاصته: هل يتصوّر أنّ المولى الغريب عليه السلام يترك هؤلاء الأفياء وينصرف إلى مأمنه؟

إذا أجبنا على السؤال بالإيجاب وأنّ هذا أمر طبيعي حيث يضحّي الأتباع ليدفعوا عن سادتهم وقادتهم، وأنّ المولى لم يكن في موقف حرب، ولا مقام ثورة، وهو الآن معرّض للخطر وقد دهمه الليل، وألحّ عليه أصحابه بالتوجّه خارج منطقة المواجهة، فخرج.

أمّا إذا قلنا: إنّ هذا ليس من خلق المولى الغريب عليه السلام تحت أيّ ظرف أو أيّ تبرير، فإنّ هذا المشهد سينخدش.

المشهد التاسع:

دخل المسجد في ثلّة وخرج وحيداً

قال السيّد ابن طاووس:

فجعل أصحاب مسلم، يتفرّقون عنه ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم، فلم يبق معه سوى عشرة أنفس، فدخل مسلم المسجد ليصلّي المغرب، فتفرّق العشرة عنه. فلمّا رأى ذلك خرج وحيداً في دروب الكوفة[1].

وقال ابن نما:

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممّن بايعه إلى حرب عبيد الله بعد أن رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا

١. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٥٣ ـ ٥٤.

البيعة وهم مع عبيد الله، فتحصّن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل، فتفرّقوا عنه وبقي معه أناس قليل، فدخل المسجد يصلّي وطلع متوجّهاً نحو باب كندة، فإذا هو وحده لا يدري أين يذهب[1].

المشهد العاشر:

دخل المسجد وخرج فارساً

قال ابن أعثم الكوفي:

.. ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة، فلمّا رأى ذلك استوى على

١. مثير الأحزان لابن نما: ١٦، ١٨ ـ ١٩.

فرسه ومضى في بعض أزقّة الكوفة، وقد أثخن بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها: طوعة[١].

المشهد الحادي عشر:
الخروج من الكوفة

يختلف هذا المشهد عن المشاهد السابقة في أنّه يقرّر عزم المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام على الخروج من الكوفة، فتجري له أحداث مفصّلة ستسمعها في رواية الخبر حتّى يقف على باب طوعة.

قال لسان الملك سبهر في ناسخ التواريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام:

نظرت وبحثت وأنا أسطّر هذه الصفحات في كتاب بحار الأنوار، والعوالم، وكتاب زبدة الفكرة، وكتاب اللهوف، وكتب الشيخ

١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٠.

المفيد، وكتاب ابن شهرآشوب، وكتاب اعلام الورى، وبحر اللئالي، والطبري، وكتاب مروج الذهب، وكتاب الفصول المهمة، وكتاب تذكرة خواص الأمّة، وكتاب شرح الشافية، وكتاب كشف الغمّة، وكتاب اليافعي، وكتاب الطريحي، وكتاب أعثم الكوفي، والمعيني، وأبو مخنف، وكتاب مطالب السؤول، وكتاب عبد الله بن محمد رضا الحسيني المعروف بجلاء العيون، وفي مئات الكتب والمجلدات العربية والفارسية التي ألفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخّل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ولما كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن

اسحاق وابن هشام، رأيت من المـؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار، فهو يقول:

لمّا تفرّق الناس عن مسلم واختلط الظلام استوى مسلم على فرسه ومضى يخرج مـن الكـوفة، وهـو لا يـعرف الطـريق، فمـضى يـطوف في بـعض الأزقـة فـرآه سـعيد بـن الأحنف فعرفه فقال له: إلى أين يـا سـيّدي ومولاي في مثل هذا الوقت؟

فقال: أريد أن أخرج من هـذا البـلد إلى مأمن، حتّى يجتمع إليّ بعض من بايعني من القوم فينصرونني.

فقال سعيد بن الأحنف: لا أدعك تذهب أبداً، فقد جعلوا المدينة عليك سجناً مقفلاً، وأحـاطوا بك، ومـلأوا الأزقّـة والسكك بالجنود والحرس، فأين ذهبت قبضوا عليك وأسروك.

فقال مسلم: فماذا ترى؟

قال: تعال معي حتّى أدلّك عـلى الطـريق

وأهديك إلى مكان تأمن فيه.

فجاء به حتّى وقف على باب دار محمد بن كثير، فـنادى: يـا محـمد بـن كـثير أسرع واستقبل مسلماً.

فخرج محمد من الدار مـسرعاً واسـتقبل مسلماً استقبالاً مبجّلاً، وحمد الله عـلى مـا أنعم عليه وأكرمه باستضافة مسلم، وأدخله إلى بيته وجعله في مـوضع لا يـدخله أحـد غيره، وهيّأ له ما يلزمه.

وكان أصحاب عبيد الله بن زياد يطوفون في الأزقة والمحلات ويدخلون كـلّ مـوضع ومكان بحثاً عن مسلم بن عـقيل، فكأنهـم أحسّـوا بمـوضعه فأرسـلوا إلى ابـن زيـاد يخـبرونه بـذلك، فـفرح ابـن زيـاد فـرحاً شديداً، وأمر ابنه خالد أن يخرج مـع فـوج من الجنود ويحاصروا دار محمد بـن كـثير، ويهجموا عليه مغافصة وعـلى حـين غـرّة، فحاصروه ولم يكن معه أعوان ولا أنـصار،

فأمسكوا به وبابنه دون قتال ولا جدال، فلا ضربوا سيفاً ولا سفكوا دماً، فأرسلوا بهما إلى ابن زياد، وفتّشوا البيت فلم يجدوا عيناً ولا أثراً، فرجع خالد إلى قصر الإمارة.

فلمّا سمع بذلك سليمان بن صرد الخزاعي والمختار بن أبي عبيدة الثقفي وورقاء بن عازب وجماعة آخرون من أشراف الكوفة تعاهدوا على الخروج غداة غد للهجوم على ابن زياد لانقاذ محمد وابنه، والخروج بعد ذلك خارج الكوفة يتلقون الحسين عليه السلام لينصروه ويقاتلوا معه أعداءه، فتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وأرسلوا إلى قبائلهم ليستعدّوا ويخرجوا غداة الغد لقتال ابن زياد.

فلمّا أصبح الصباح وصل عامر بن الطفيل ومعه عشرة الآف رجل من جند الشام والتحق بابن زياد، ففرح ابن زياد واستقوى بهم، فأرسل إلى محمد بن كثير.

فلمّا حضر عنده سبّه وشتمه، وتكلّم معه كلاماً غليظاً.

فقال محمد: يا ابن زياد! اعرف قدرك، والزم حدّك، ولا تقل ما لا يليق بك، فإني أعرف حسبك ونسبك وأعلم استلحاق معاوية لزياد، وما فعله في ذلك من فتنة وفساد.

فبينا كان محمد يتكلّم ارتفعت أصوات طبول الحرب تصمّ الآذان، وتخرق الصماخ، وإذا بأربعين ألف رجل ـ أو ما يقرب من ذلك ـ قد حاصروا قصر الإمارة، واصطفوا حوله صفوفاً.

فاشتدّ غضب ابن زياد وقال: يا بن كثير أقسم بيزيد أن ليس على كلامي مزيد، لتأتيني بمسلم أو لأضربن عنقك.

فقال له: أنت أحقر من أن تمسّ شعرة مني.

فسكت ابن زياد، وأطرق برأسه إلى

الأرض، وكتم غضبه، وفكر في عواقب فعله، وإن كانت تلك الكلمات ثقيلة عليه، وهو لا يطيق سماعها.

ثم رفع رأسه وقال: يا بن كثير! أيّهما أحبّ إليك أهلك وعشيرتك أم مسلم بن عقيل؟

فقال: يا بن زياد إنّ الله حافظ ابن عقيل وناصره ومعينه، وأنا لي ثلاثون ألف سيف متعطّشة للدماء تحيط الآن بقصر الإمارة.

فغضب ابن زياد ولم يعد يحتمل الصبر عليه، فأخذ دواة كانت أمامه فرمى بها محمداً، فأصابته في جبهته فشجّته، وسال الدم على وجهه.

فوثب محمد إلى سيف، فأخذه وهجم على ابن زياد، فأحاط به أشراف! الكوفة ومنعوه من الوصول إليه.

فلمّا رأى معقل! ذلك، وكان من قبل قد جرحه هاني كما ذكرنا، حمل على محمد

فوثب عليه محمد كالليث الغضبان وضربه بسيفه فقطّه نصفين.

فلمّا رأى ابن زياد إقدام محمد وشجاعته تنحّى جانباً ونادى بغلمانه: اقتلوه ولا تبقوه.

فأحاطوا به من كلّ جانب وتكاثروا عليه ومحمد يقاتلهم يميناً وشمالاً، فقتل منهم اثنين، ثم إنّه عثر بوتد، فسقط إلى الأرض، فانتهزوها فرصة، فحملوا عليه وقتلوه.

أمّا ابن محمد فقد سلّ سيفاً وقاتل وهو يريد الوصول إلى باب القصر، فقاتل قتال الأبطال، فقتل عشرين حتّى وصل إلى باب القصر، فطعنه غلام في ظهره بالرمح، فسقط شهيداً.

وكان جيش الشام مشغولاً بقتال الكوفيين على الباب يتبادلون معهم الضرب والطعان بالسيوف والسنان، وهم يتعجّبون ويتأهّبون لصبر الكوفيين وجلدهم.

فقال ابن زياد: إنّما يقاتل أهل الكوفة لمكان محمد بن كثير وابنه فاقطعوا رأسيهما وارموا بها إلى الناس ليرونهم، فيفتّ في عضد المقاتلين، ويخمد حماسهم، فقطعوا الرؤوس ورموا بها من أعلى الشرف بين الناس، فعلموا أنّ محمداً وابنه قد قتلا.

ولكنّهم استمرّوا في القتال حتّى انتهى النهار، وهبط عليهم الظلام، فانصرف كلّ واحد إلى أهله، ولم يبق منهم ولا رجل واحد في الميدان.

فلمّا سمع مسلم بن عقيل بالخبر خرج من مكمنه في دار محمد بن كثير، وهو لا يعلم إلى أين يذهب! وكان ابن زياد على وجل من أهل الكوفة وانقلابهم عليه! وفي نفس الوقت كان جاداً في البحث عن مسلم بن عقيل غاية الجدّ، ولهذا فرق جنده وهم إثنا عشر ألفاً في شوارع الكوفة وأزقّتها ومناطقها، فلم يترك محلّة إلاّ وجعل فيها

جماعة من عسكره، سيما في الليل، فأخذوا كلّ المعابر والسبل.

فلمّا خرج مسلم لقته جماعة من الحراس فسألوه: من أنت؟ وإلى أين تريد؟

فقال: أنا رجل من بني فزارة!!! أريد الرجوع إلى قومي!!

فقالوا له: ارجع فليس هذا طريقك، فرجع مسلم ومشى في طريق آخر حتّى وصل إلى دار البيع، وكان خالد بن عبيد الله بن زياد في اثني عشر ألفاً حراساً على تلك المحلّة، فرجع من هناك وأخذ يميناً وشمالاً في السكك والأزقة حتّى وصل إلى الكناسة، وكان هناك خادم الشامي في ألفي رجل، فمرّ مسلم بشجاعة وإقدام من هناك وعبر إلى سوق الحدادين، فرآه رجل يقال له: الحارث، فقال في نفسه: لا يكون هذا الفارس المتعجّل! الذي مرّ من هنا إلاّ مسلم بن عقيل، وكان الوقت يقارب الفجر، فجاء

راكضاً مسرعاً إلى قصر الإمارة وقال لنعمان الحاجب: رأيت مسلماً وهو يدخل سوق الحدادين ويتّجه نحو باب البصرة، فركب نعمان في خمسين فارساً وتبعوه.

فلمّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنّهم في طلبه، فنزل عن ظهر جواده وضربه، فانطلق الجواد مسرعاً، ودخل مسلم في شارع آخر، فأتبع الفرسان الجواد حتّى لحقوه في محلّة الحلاجين، فوجدوه دون فارس، فأخذوه ورجعوا به إلى ابن زياد، فأخبروه بالخبر.

فأمر ابن زياد أن يشدّدوا الحراسة، ويأخذوا الطرقات، وينصبوا الكمائن ويشدّدوا على المخارج والمداخل، وأمر مناديه فنادى في الكوفة: من دلّنا على مسلم أو جاءنا به فله من مال الدنيا ما يغنيه، ويكون من أهل الزلفى والقربى عند الأمير.

فطمع بذلك المتهافتين على الذهب

والفضّة، وخرجوا في طلب مسلم لا يفترون ليلاً ونهاراً.

أمّا مسلم، فبعد أن أفلت من نعمان الحاجب ومن معه من الفرسان، جعل يطوف في الأزقة لا يدري إلى أين يذهب، وقد أثّر فيه الجوع والعطش، حتّى وجد نفسه في زقاق مسدود، فجعل يذهب يميناً وشمالاً، وهو في حيرة من أمره! إذ رأى مسجداً خراباً، فدخله وجلس في زاوية منه حتّى غربت الشمس، وهبط الظلام فلفع الكون بالسواد، فخرج من المسجد، وجعل يمرّ من زقاق إلى زقاق حتّى عبر على دور بني جبلة، وهم جماعة من كندة، فالتفت فرأى بنياناً منيفاً عالياً، فجلس في فنائه يستريح ساعة، وكانت الدار لامرأة يقال لها «طوعة»[1]....

---

١. ناسخ التواريخ / حياة الإمام الحسين عليه السلام ترجمة

❊❊❊

كذا هي القصّة بتفاصيل فريدة رواها سبهر عن ابن الأعثم، غير أنّ الطبعات المتوفّرة لفتوح ابن الأعثم لا تفيد أيّ إشارة إلى هذا الخبر بحيث يحتمل المراجع أنّ حذفاً ما وقع في النسخ المطبوعة، وهو حسب المطبوع يروي الخبر مسترسلاً متواصلاً ضمن مجريات الأحداث التي يرويها كما نقلناها عنه في ثنايا البحث، ولسان الملك سبهر نفسه يذكر كتاب ابن أعثم ضمن الكتب التي راجعها فلم يجد القصّة فيها، فيقول: «نظرت وبحثت وأنا أسطّر هذه الصفحات في كتاب بحار الأنوار... وكتاب أعثم الكوفي... وفي مئات الكتب والمجلدات العربية والفارسية التي ألّفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة

← السيّد علي أشرف: ١ / ٢٨٤.

منها قصّة تدخّل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ثم يستدرك ويقول: «ولما كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن اسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار..».

ومن يعرف منهج لسان الملك سبهر في الكتابة تكاد المسألة تكون واضحة عنده، فإني قد ترجمت له ـ بحمد الله ـ كتاب حياة الإمام الحسن عليه السلام وكتاب حياة الإمام الحسين عليه السلام من الناسخ وهو أربعة أجزاء في مجلدين، وتعقّبت منهجه وطريقة نقله من المصادر حيث يعتمد مصدراً معيناً فينقل عنه، ولكنّه ينسب ما ينقله عنه للمصدر الأصلي الذي ينقل عنه الكتاب المعتمد لديه.. فهو ينقل من البحار وينسب ما ينقله

لمصدر البحار مباشرة دون الإشارة إلى البحار اعتماداً منه على العلامة المجلسي وثقة به .. فتجد مصادره متنوعة إذ يروي عن الأمالي والخصال وشرح نهج البلاغة وهكذا، وهو في الحقيقة لم يراجع سوى البحار وينقل ما فيه فقط ..

وربما كان هذا هو السبب في نسبة ما يرويه في هذه القصّة إلى ابن أعثم، حيث أنّه راجع روضة الشهداء للواعظ حسين الكاشفي (ت ٩١٠) المتفرّد بنقلها بحذافيرها، وهو يرويها مرسلة دون الإرجاع إلى مصدر أو إسناد، ويروي قبلها خبراً عن ابن الأعثم ثم يقول: «قال الراوي» ويأخذ بسرد هذه القصّة، فظنّ لسان الملك سبهر أنّ هذه القصّة وقول هذا الراوي استمرار لما رواه الكاشفي عن ابن الأعثم فنسبه إليه ...

ونحن إنّما نقلناها هنا لنكون قد استوعبنا كلّ المشاهد التي ظفرنا بها خلال تتبعنا

للساعة الأخيرة، فربما رسمت صورة للقارئ يمكنه أن يستفيد منها.

المشهد الثاني عشر:

الهرب!!!

التعبير عن البطل الهاشمي والليث الطالبي والهمام العقيلي بالهرب والفرار، يكشف عن عدم معرفة المؤرّخ بشخص المولى عليه السلام وجهله أو عجزه عن التعبير، وربما يكون هذا متوقّعاً من أمثال ابن سعد والذهبي، ولكنّه لا يصدق على أمثال الطريحي، لأنّه ذو قدم راسخ في الولاء، وباع طويل في اللغة، فلا ندري كيف نفسّر ما كتبه، فنردّ علم ما قاله إليه وهو أعرف بما قال رحمه الله.

روى ابن سعد والذهبي، قالا:

.. وجاء الليل، فهرب مسلم! حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها «طوعة»،

فاستجار بها!(١).

وقال المقريزي في إمتاع الأسماع:

ثم ركب من البصرة ودخل الكوفة وقد بايع مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفاً، فركب بهم وحاصر عبيد الله فلم يثبتوا وتفرّقوا عنه حتّى فرّ، فأخذ بعد خطوب وحروب وقتل(٢).

عبارة المقريزي مقتضبة غير أنّها متناقضة، فكيف يفرّ ثم يقول: فأخذ بعد خطوب وحروب؟!

أمّا الشيخ الطريحي رحمه الله فقد ذهب بها عريضة، فقال:

قال الناقلون: لمّا وصل خبر هانئ إلى مسلم، خرج من الدار [دار هانئ] هارباً

١. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.
٢. إمتاع الأسماع للمقريزي: ٥ / ٣٦٣.

حتّى انتهى إلى الحيرة(١)..

وقد تعرّضنا لهذه الفرية على مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام من نسبة الفرار إليه ـ ولو على مستوى التعبير ـ في أكثر من موضع، ونستغفر الله أن ذكرناها هنا أو في مورد آخر، غير أنّنا مضطرون لذلك بحكم ضرورات البحث.

ولا نرى ضرورة لمناقشتها لا هناك ولا هنا، ولا في أيّ مكان، لأنّها كذبة باردة جامدة هامدة سخيفة، لا تستحقّ النقد والوقوف عندها.

أجل! ربما كان ذكرها سبباً لبكاء مؤمن غيور يحنّ على المولى الغريب عليه السلام، فيبكي لظليمته وما أوصلوه إليه حتّى صار يرمى بمثل هذه الأقاويل، ويوصف بمثل هذه الصفات المقرفة، والخصال المقزّزة.

١. المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٥.

وربما أتعبنا القارئ ببحثنا وأطلنا عليه الكلام فليضحك هنا، لأنّ الكذب المفترع المفضوح يثير السخرية والضحك عادة، وشرّ البليّة ما يضحك!

طوعة واللقاء

إنّ بعض المصادر لم تنصّ على اسم طوعة، وإنما ذكرتها بعنوان امرأة من دون تحديد لاسمها، من قبيل:

الطبري في إحدى رواياته، قال: فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة[1]..

وقال ابن حبان في الثقات:

فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده، فرأى امرأة على باب دارها، فاستسقاها ماء، وسألها مبيتاً، فأجابته إلى ما سأل وبات عندها[2].

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.
٢. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

وقال الطريحي في المنتخب:

قال الناقلون: لمّا وصل خبر هانئ إلى مسلم، خرج من الدار [دار هانئ] هارباً حتّى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك بعد ما سألته عن حاله وقصّته، فلمّا أدخلته الدار أكرمته وقدّمت إليه المأكول، فأبى عن ذلك، لما به من الوجل والألم[1]!!

***

لم يحدّثنا التاريخ عن طوعة، سوى بعض الإشارات المتفرقة هنا وهناك في صفحات الكتب...

ويمكن أن نتصيّد بعض ما ورد عنها في منثور الصفحات..

١. المنتخب: ٢ / ٤٢٥.

ولاؤها

اختلفت المصادر في بيان ولاء طوعة وانتمائها، ويمكن أن نقسم اختلافهم إلى أقوال:

القول الأول: من حرائر كندة

تفيد المصادر القديمة أنّها كانت من كندة من دون الإشارة إلى الولاء، ومفاد عبارة بعضهم أنّها كانت من حرائر كندة لا من مواليهم.

قال ابن سعد والذهبي:

.. حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة[1]..

وقال ابن أعثم الكوفي في الفتوح:

١. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.

حتّى صار إلى دار امرأة، يقال لها: طوعة، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي، فتزوّجها رجل من حضرموت يقال له: أسد بن البطين، فأولدها ولداً يقال له: أسد[١]...

ولكنّه قال وهو يسترسل في نقل الأحداث نقلاً عن محمد بن الأشعث:

فقال: إن ابني هذا يخبرني أنّ مسلم بن عقيل في دار طوعة عند مولاة! لنا.

وقال البلاذري:

خرج متوجّهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده يتلدّد في أزقّة الكوفة، ليس معه أحد، ودفع! إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»[٢]..

وقال الدينوري:

١. الفتوح: ٥ / ٨٨.
٢. جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

.. فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كندة.

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها[١]...

القول الثاني: أم ولد للأشعث

ونصّ الطبري أنّها كانت مولاة للأشعث فأعتقها وتزوجت من رجل حضرمي فولدت له بلالاً، فهي حرّة يوم المولى الغريب غير أنّها كانت مملوكة من قبل:

قال الطبري:

حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها:

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

طوعة، أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي[١]..

القول الثالث:

ابنها مولى لمحمد ابن الأشعث

وذكر الطبري أيضاً والمزي وابن حجر والشجري أنّ ابنها كان مولى لمحمد بن الأشعث:

وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلمّا علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره[٢]..

وكذا ذكر ابن الجوزي في التذكرة، فقال:

وقد بقي وحده فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها: يا أمة

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١، مقاتل الطالبيين: ١٠٤.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

الله اسقيني ماءاً ... وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث[١]..

القول الرابع:

أن يفسّر معنى الولاء في القول الثاني بالولاء الاجتماعي والجوار والحماية لا بمعنى ولاء الملكية، فيرجع القول الثاني إلى القول الأوّل.

القول الخامس: من بني هاشم

في نور العين في مشهد الحسين عليه السلام للاسفرائيني[٢]:

.. فقالت له المرأة: من أيّ الناس أنت؟

فقال: من بني هاشم، أنا مسلم بن عقيل، قد غمرني هؤلاء القوم وبايعوني ونقضوا

١. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.
٢. بغضّ النظر عن صحّة نسبة الكتاب للمؤلف، فإنّه وثيقة قديمة.

بيعتي.

فقالت: وأنا من بني هاشم، وأحقّ بإجارتك[١].

وقال الأستاذ محمد علي عابدين ـ حفظه الله ـ:

تدعى تلك المرأة الصالحة باسم «طوعة» كانت سيّدة مؤمنة ممّن استأثرت الأحداث باهتمامهن، وقيل: أنّها كانت مولاة للهاشميين تخدمهم أيام كانوا في الكوفة خلال خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه الصلاة والسلام ـ[٢]..

نسبها ونسبتها

لم يسجّل لنا المؤرّخ نسب طوعة وانتماءها العائلي، وقد بخل علينا حتّى باسم أبيها،

١. نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

٢. مبعوث الحسين عليه السلام: ١٩٨.

وربما كان ذلك لأحد الأسباب التالية:

السبب الأوّل:

إنّ طوعة كانت امرأة خفرة وحرّة غير برزة، وكان هذا الموقف المشرّف كافياً لإثارة فضول المؤرّخ والراوي الذي يخوض في السفاسف والتوافه أحياناً، ويلاحق بعض تصرفات النساء الساقطات والبغايا الرخيصات، ويسجّل الشارد والوارد عنهن، وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج نماذج كثيرة لهذا القول.

غير أنّه عمل هنا ما يعمله مع الطيبين، فبخسها حقّها وقصّر معها، وأزعجه متابعتها، تماماً كما فعل مع الكثير من الطيبات الطاهرات، من قبيل الصديقة الصغرى زينب الحوراء وأخواتها ونسائها، وزوجة سيّد الوصيين وأمير المؤمنين وأمّ حامل لواء الحسين عليه السلام، أم البنين عليها السلام، وكذا الكثير الكثير.

وسنقتصر هنا على ذكر بعض الأمثلة الواضحة من أيام القيام الحسيني، لتكون شاهداً على أنّ المؤرّخ لا يرصد النساء اللواتي وقفن مع الحقّ ويلهو عنهنّ عامداً أو مقصّراً أو قاصراً أحياناً، لظروفهنّ الخاصّة وحشمتهنّ واختفائهنّ خلف أستار الخدور، قبل وبعد اتّخاذ الموقف الذي يخلّد أسماءهنّ، ويضطر المؤرّخ لذكرهنّ..

المثال الأوّل:

زوجة علي بن مظاهر الأسدي:

روي أنّ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام جمع أصحابه ليلة العاشر، وكلّمهم وأذن لهم بالانصراف، فأبوا إلّا أن ينصروه ويفدوه بالأرواح والأبدان، وأن يدافعوا عن حرم الله وحرم رسوله ما دام قوائم سيوفهم بأيديهم، وما دام فيهم عرق ينبض وعين تطرف، فكشف لهم سيّد شباب أهل الجنّة

عن مواقعهم في الجنّة، وأراهم قصورهم وحورهم ثم قال:

ألا ومن كان في رحله امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد، فقام علي بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيّدي؟

فقال عليه السلام: إنّ نسائي تسبى بعد قتلي وأخاف على نسائكم من السبي.

فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته، فقامت زوجته إجلالاً له، فاستقبلته وتبسّمت في وجهه، فقال لها: دعيني والتبسّم.

فقالت: يا بن مظاهر! إني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم، وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة، فما علمت ما يقول؟!

قال: يا هذه إنّ الحسين عليه السلام قال لنا: ألا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني عمّها، لأني غداً أقتل ونسائي تسبى.

فقالت: وما أنت صانع؟

قال: قومي حتّى ألحقك ببني عمّك

بني أسد.

فقامت ونطحت رأسها في عمود الخيمة وقالت: والله ما أنصفتني يا بن مظاهر!

أيسرّك أن تسبى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا آمنة من السبي؟

أيسرّك أن تسلب زينب إزارها من رأسها وأنا استتر بإزاري؟

أيسرّك أن تذهب من بنات الزهراء أقراطها وأنا أتزيّن بقرطي؟

أيسرّك أن يبيضّ وجهك عند رسول الله ويسودّ وجهي عند فاطمة الزهراء؟ والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء.

فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام وهو يبكي، فقال له الحسين عليه السلام: ما يبكيك؟

فقال: سيّدي، أبت الأسدية إلّا مواساتكم. فبكى الحسين عليه السلام وقال: جزيتم منّا خيراً[1]..

---

١. معالي السبطين للحائري: ١/٣٤٢، موسوعة

ما أعظم موقفها، وأقوى شكيمتها، وأثبت جنانها، وأشدّ يقينها، وأجمل صنيعها.. مثل هذه اللبوءة الوفية، لا يحدّثنا التاريخ عن نسبها أكثر من أنّها أسدية!

المثال الثاني: دلهم زوجة زهير بن القين

دلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القين صاحب ميمنة الإمام الحسين عليه السلام.

ورد اسمها في بعض المصادر «دلهم بنت عمرو»، وفي بعضها «ديلم بنت عمرو».

ولم نجد في كتب الرجال والتاريخ لها أيّ ذكر إلّا بعد أن جاء رسول الحسين عليه السلام يدعو زهيراً.

بيد أنّ موقفها الذي سجّله التاريخ بكلّ عزّ وافتخار جعلها في رتبة النساء المميّزات، وكشف عن عمق ولائها، ومعرفتها بالحقّ،

← الإمام الحسين عليه السلام: ٣/١٣٥.

وأدبها الرفيع في التعامل مع إمامها وزوجها[١].

المثال الثالث: المرأة من آل بكر بن وائل

روى حميد بن مسلم قال:

رأيت امرأة من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام فسطاطهن، وهم يسلبونهن، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت:

يا آل بكر بن وائل! أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟! لا حكم إلّا لله، يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأخذها زوجها وردّها إلى رحله[٢]...

---

١. انظر للمزيد: كتاب «زهير بن القين علوي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام» للمؤلف.

٢. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ١٣٠، مثير الأحزان لابن نما: ٧٧، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٥ / ٥٧.

أرأيت الحميّة والغيرة والشجاعة والوعي العميق؟!

تخرج امرأة في معسكر الأعداء.. تحمل سيفاً! تريد أن تذبّ عن عرض رسول الله صلى الله عليه وآله، وترفع شعاراً واعياً ينمّ عن عميق معرفتها وبعد نظرها.. الثأر ثأر النبي صلى الله عليه وآله.. العيال عيال النبي صلى الله عليه وآله.. الخيام خيام النبي صلى الله عليه وآله.. العرض عرض النبي صلى الله عليه وآله.. ناموس النبي صلى الله عليه وآله.. حرمة النبي صلى الله عليه وآله..

ثم نرى المؤرّخ لا يجود لنا حتّى باسمها، أو اسم زوجها.. رحمها إذ استصرخت واستجاشت آل بكر بن وائل فعرفنا انتماءها..

ولم يقتصر الأمر على النساء فقط، بل شمل الرجال والمصابيح التي أنارت الدنيا والآخرة، نذكر لذلك مثلاً واحداً:

المثال الرابع: الأسدي الذي كان ينتظر الحسين عليه السلام في كربلاء

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق مسنداً عن العريان بن الهيثم قال:

كان أبي يتبدّى، فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين عليه السلام، فكنّا لا نبدو إلّا وجدنا رجلاً من بني أسد هناك!

فقال له: إني أراك ملازماً هذا المكان؟

قال: بلغني أنّ حسيناً يقتل ها هنا، فأنا أخرج لعلّي أصادفه فأقتل معه.

فلمّا قتل الحسين عليه السلام قال أبي: انطلقوا ننظر هل الأسدي فيمن قتل؟

وأتينا المعركة، فطوّفنا، فإذا الأسدي مقتول[1]..

المنتظر الذي أدرك ما أمّل.. سكن البرّية،

١. تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٤/٢١٦، قال محقّق الكتاب: الخبر نقله ابن العديم في بغية الطلب ٦/٢٦١٩.

واعتزل العمران والبشرية، واختار تحمل الهجير والرمضاء والفيافي والصحراء منذ زمن بعيد انتظاراً لنصرة سيّد شباب أهل الجنّة وسبط خير البرية والفوز بالشهادة معه! إنّه وجود مقدّس يعدّ استثناءاً مشرقاً ومشرفاً في تاريخ البشر.. لم يذكروا لنا حتّى اسمه؟!

والأمثلة على ذلك في قيام سيّد الشهداء عليه السلام فقط كثيرة كثيرة جدّاً تتّسع لكتاب كبير، مثل الإخوة الأربعة من اليمن الفتيان الطوال كالنخلات أصحاب المعجزة التي أظهرها لهم أمير المؤمنين عليه السلام في أختهم[1]..

وابن أخ أسيد بن حذيفة، وأسد الكلبي، وشهداء الحملة الأولى، والرجال الذين التحقوا بمعسكر التوحيد ليلة العاشر من

١. انظر تفصيل قصّتهم في نوادر المعجزات للطبري الشيعي: ٣٠.

المحرم، وهكذا.. فلا نطيل.

فمن المتوقّع أن لا يسعفنا التاريخ بتفاصيل نسبها أو تفاصيل عن حياتها قبل وبعد موقفها.

السبب الثاني: كونها أمة

كان الموالي من غير العرب ممتهنين اجتماعياً لا يقام لهم وزن ولا يحسب لهم حساب ضمن الأعراف الجاهلية السائدة.. فهم لا يهتمّون بأسمائهم وأنسابهم، وغالباً ما يغيّرون أسماءهم إلى أسماء يحبّونها ويتفألون بها، ولا يعدّونهم في المحاربين والقتلى إذا وقعت معركة بينهم، ويحسب كلّ مولى على سيّده، إلّا إذا كان المولى له ميزة وخصوصية ترفعه إلى صفّ الأحرار بالاهتمام.

فإذا كانت «طوعة» مولاة كما في بعض المصادر، فمن الطبيعي أن لا يعرف لها نسب ولا عشيرة ضمن حسابات ذلك الزمان.

***

المهمّ، إن أغفل التاريخ نسب طوعة لأيّ سبب كان، فقد كان لها موقفها في الكوفة مع المولى الغريب عليه السلام حسباً ونسباً جعلها مفخراً لأهل الحفاظ والغيارى والعظماء..

زوجها

قال الشيخ عبد الواحد المظفّر رحمه الله في هامش كتابه سفير الحسين عليه السلام:

أسيد هذا هو زوج طوعة، هو أسيد بن مالك، كان شرطياً عند ابن زياد ومن حرسه الخاص، وشهد حرب الحسين عليه السلام مع عمر بن سعد، وصدرت منه أعمال خبيثة، شرك في قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل، وفي رواية البحار: وكان أحد العشرة الذين داسوا جسد الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم، وهؤلاء العشرة أخذهم المختار

فبطحهم وضرب في أيديهم وأرجلهم سكك الحديد وأجرى عليهم الخيل، وهم أحياء حتّى قطعتهم بحوافرها[١].

وعبارة الشيخ المجلسي رحمه الله في البحار هي نفس عبارة السيّد ابن طاووس في اللهوف[٢]، قال:

.. ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئ الخيل ظهره، فانتدب منهم عشرة، وهم:

إسحاق بن حوية الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه.

وأخنس بن مرثد.

وحكيم بن الطفيل السنبسي.

وعمرو بن صبيح الصيداوي.

ورجاء بن منقذ العبدي.

---

١. سفير الحسين عليه السلام للشيخ المظفّر: ٩٤.

٢. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ١٣٥.

وسالم بن خيثمة الجعفي.

وواحظ بن ناعم.

وصالح بن وهب الجعفي.

وهانئ بن ثبيت الحضرمي.

وأسيد بن مالك.

فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتّى رضّوا ظهره وصدره.

قال: وجاء هؤلاء العشرة حتّى وقفوا على ابن زياد، فقال أسيد بن مالك أحد العشرة:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر
بكلّ يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟

فقالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتّى طحنّا جناجن صدره، فأمر لهم بجائزة يسيرة.

قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة، فوجدناهم جميعاً أولاد زنا، وهؤلاء أخذهم المختار، فشدّ أيديهم

وأرجـــلهم بسكك الحـــديد وأوطأ الخـــيل ظهورهم حتّى هلكوا[١].

وعـــدّه البـلاذري في أنســاب الأشراف فيمن انتهب رحل الحسين عليه السلام ومـال عـلى الورس والحلل والإبل، قال:

.. ومال الناس على الورس والحلل والإبل فانتهبوها، وأخذ الرحل ابن زهـير الجـعفي وجرير بن مسعود الحـضرمي وأسـيد بـن مـالك الحـــضرمي أكـثر تـلك الحـلل و الورس[٢]...

وعدّه ابن سعد ـ في أحـد قـولين ـ قـاتل عبد الله بن عقيل، قال ابن سعد:

وعبد الله بن عقيل، الآخر، وأمّه أم ولد، قتله عمرو بن صبيح الصدائي، ويقال: قتله أسيد بن مالك الحضرمي[٣].

١. بحار الأنوار: ٤٥ / ٥٩.
٢. أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٠٤.
٣. الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٧٧.

وعدّه الطـبري ـ في أحـد قـولين ـ قـاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل عليهما السلام، قال:

وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بـن أبي طالب، وأمّه رقية ابنة علي بن أبي طـالب، وأمّــها أم ولد، قــتله عـمرو بـن صـبيح الصـدائي، وقـيل: قـتله أسـيد بـن مـالك الحضرمي[١]..

يبقى أنّ ما جاء في أخبار المـولى الغـريب ومجريات الأحـداث في الكـوفة، التـصريح باسم زوج طوعة ونسبته من دون الإشارة إلى اسم أبيه، فكلّ من ذكره قـال: «أسـيد الحــضرمي»، ومـا جـاء في الأخـبار التي ذكرناها آنفاً التصريح باسم أبيه أيضاً، فهل هما واحد؟

نترك الجواب للمحقّق المـرحـوم الشـيخ

١. تــاريخ الطـبري: ٥ / ٤٦٩، الكـامل في التـاريخ: ٤ /٩٣.

المظفّر إذ عدّهما واحداً، وهو خبير في التاريخ وعارف برجاله، فإن كان حدساً منه، فالتوقّف أجمل وإن كان ثابتاً لديه بالقرائن أو النصوص التاريخية، فالقول قوله.

وقد صرّح الشيخ شمس الدين في كتاب «أنصار الحسين عليه السلام»[١] أنّها كانت أرملة، فيلزم أن يكون زوجها ميّتاً ولا يمكن أن يكون له وجود في كربلاء.

عمرها

لم يحدّد المؤرّخون عمرها بالضبط، ولكن الطبري وأبو الفرج الأصفهاني وابن الأثير، وابن كثير والشيخ المفيد والفتال النيسابوري والعلامة المجلسي والفاضل البحراني، اتّفقوا قولاً واحداً أنّها كانت عجوزاً.

قال الطبري:

١. أنصار الحسين عليه السلام لشمس الدين: ١٩١.

.. وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمّه ابن عقيل[١] ..

وقال أبو الفرج:

.. وأصبح بلال ابن العجوز التي آوت ابن عقيل[٢] ..

وقال ابن الأثير:

.. فلمّا أصبح جلس للناس. ولما أصبح بلال ابن تلك العجوز التي آوت مسلم بن عقيل[٣] ..

وقال الشيخ المفيد، وابن كثير، والفتال النيسابوري، والمجلسي، والبحراني:

.. وأصبح ابن تلك العجوز فغدا إلى عبد الرحمن[٤] ..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.
٢. مقاتل الطالبيين: ١٠٤.
٣. الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣٢.
٤. الارشاد للمفيد: ٢ / ٥٣ وما بعدها، البداية ←

ونحسب أنّ المصدر الأوّل لهذا القول إنّما هو الطبري، فهو أقدمهم، وفي نصوص من تأخّر عنه شواهد تدلّ على الأخذ عنه.

والعَجُوز من النساء: الشَّيْخَة الهَرِمة، وهي المرأة الكبيرة المسنَّة[1]، سمّيت بذلك لأنّها عجزت عن أكثر الأمور[2].

فهي امرأة طاعنة في السنّ، قد أكلت السنون أيامها، وشيخة هرمة قد علّمتها السنين دروساً من تجاربها ومنحتها الخبرة والحنكة في التعامل مع الأحداث.

ومعنى أنّها هرمة مسنّة، أنّها عاشت الفترة المظلمة الحالكة منذ أيام السقيفة،

← والنهاية لابن كثير: ٥ / ١٥٥، البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٩، أسرار الشهادة للدربندي: / ٢٢٣، نفس المهموم للقمّي: ١٠٦، روضة الواعظين للفتال: ١٥٠، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٢، لواعج الأشجان: ٥٥.

١. انظر: لسان العرب مادّة «عجز».

٢. انظر: مجمع البحرين للطريحي مادّة «عجز».

مروراً بما جرى على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله خلال حكم الملوك الثلاثة، إلى الطامة الكبرى التي أتت على البلاد والعباد حين نزى قردة بني أمية على الحكم والسلطان..

عاشت حكم الطاغوت وما تبعه من خوف ورعب وإرهاب وقتل على الظنّة والتهمة، وتعقّب الصالحين تحت كلّ حجر ومدر، وحملات التهجير، والإبادة التي تعرّض لها المجتمع الكوفي إبان حقبة الحكم الأموي بالخصوص..

ومعنى أنّها هرمة مسنّة، أنّها عاشت في أفياء حكم سلطان الدنيا والآخرة، أمير المؤمنين عليه السلام، واستروحت عبير الأمن والأمان والإيمان، ورفلت في ظلّ الرخاء والعطاء والسعادة والحنان العلوي.

يعني أنّها عاشت الكوفة يوم أشرقت عليها أنوار السيّدة الصديقة الصغرى، وأضاءت بمصابيح آل محمد رجالاً ونساءاً،

بوجود الإمامين الحسنين، ووجود بنات أمير المؤمنين بما فيهن رقية، زوجة المولى الغريب مسلم بن عقيل، وفاح منها أريج الوجود المسلمي المقدّس...

وكان الناس ـ ولا زالوا ـ يهتمّون بأرحام العظماء وأقربائهم وأصهارهم.. فكيف بمن فرض الله معرفته على العباد؟!

محلّتها

لم يحدّد لنا التاريخ موضع بيتها بالضبط، مع أنّه يعتبر قضيّة غاية في الأهمية، إذ صار معقلاً مهمّاً من معاقل أهل البيت عليهم السلام في ليلة من ليالي التاريخ، وصار مناراً للفخر والشهامة والشرف والجوار يحقّ للشرفاء وأهل الحفاظ أن يفخروا به، وصار كانوناً يشعّ منه نور الفضيلة في بقعة غمرها الظلام والاستسلام..

والأهم من ذلك أنّه صار موضعاً شهد

أشدّ المساجلات والمعارك الضارية التي شهدتها الكوفة عبر تاريخها الطويل.. معركة غير عادية بكلّ الموازين والمقاسات، يوم قابل الليث الطالبي جموع الكتائب وردّها، وحطّم أكداس السلاح وصدّها..

ولكي نستكشف موضع البيت على نحو التقريب، علينا أن نتردّد في صفحات كتب المؤرّخين، ونستنطق نصوصهم، فلعلّنا نصل قريباً من دارها..

وقد انقسمت المتون التاريخية من حيث تحديد البلد إلى قسمين:

القسم الأول: الحيرة

انفرد ـ حسب فحصنا ـ كتاب أبي مخنف المشهور بالنصّ على أنّ المولى الغريب خرج من الكوفة وأتى الحيرة، واستضافته هناك امرأة، وربما نصّ على ذلك الطريحي في المنتخب تبعاً لهذه النسخة من مقتل

أبي مخنف، فقال أبو مخنف:

فلمّا سمع مسلم بن عقيل عليه السلام قتل هانئ رحمه الله، خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتّى خرج من الكوفة، وأتى الحيرة وجعل يدور فيها، حتّى بلغ إلى دار عالية البنيان[1]...

وقال الطريحي في المنتخب:

قال الناقلون: لمّا وصل خبر هانئ إلى مسلم، خرج من الدار [دار هانئ] هارباً حتّى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك بعد ما سألته عن حاله وقصّته[2]...

وبناءً على ما في النصّين لا يمكن حمل «الحيرة» على منطقة أو محلّة في الكوفة، لأنّهما يصرّحان بخروجه من الكوفة..

وخبر المقتل المشهور ـ بغضّ النظر عن الكتاب نفسه ـ فيه من الشذوذ في نقل

١. مقتل أبي مخنف المشهور: ٣١.

٢. المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٥.

الأحداث ما يعين على تقديم أخبار القسم الثاني عليه بدون عناء.

القسم الثاني: الكوفة

عدا ما ذكرنا في القسم الأول فإنّ كلّ مصدر وقع بأيدينا وجدناه ينصّ على أنّ بيت طوعة في الكوفة، ولكنّها اختلفت في التحديد من حيث الإشارة إلى عنوان قد يقرّب الباحث عن دارها أكثر من غيره، ويمكن تقسيم أخبارهم إلى ثلاثة عناوين:

العنوان الأوّل: لم تحدّد المنطقة

لم يحدّد الطبري في إحدى رواياته، والشجري في الأمالي والمزي في تهذيب الكمال وابن حجر في تهذيب التهذيب وابن حبان في الثقات المنطقة بالضبط، فقالوا:

.. فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه

امرأة[١]..

وهذا العنوان لا يفيد غير أن يحصر البيت في الكوفة.

العنوان الثاني: حيّ كندة

قال ابن سعد:

وجاء الليل فهرب!! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة[٢]..

وقال الدينوري:

.. فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتّى دخل حيّ كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها[٣]...

وقال البلاذري:

.. خرج متوجّهاً نحو أبواب الكندة،

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

٢. الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

٣. الأخبار الطوال: ٢٤٠.

وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده يتلدّد في أزقّة الكوفة، ليس معه أحد، ودفع! إلى باب امرأة يقال لها «طوعة» [١]..

وقال أيضاً:.. ولجأ مسلم إلى دار من دور كندة[٢]..

فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها[٣]...

وفي تاريخ الطبري:

.. فخرج مسلم فدخل داراً من دور

١. جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

٢. أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧١، ٤٢٢.

٣. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

كندة[١]..

وهذه الأخبار تفيد حصر الدار في دائـرة أضيق من أخبار العنوان الأوّل، فلا يعدو أن يكون في محلّة كندة، وكانت كندة تسكن في جهة القبلة جنوباً[٢].

غـير أنّ كـندة كـبيرة ومحـلّتها واسـعة منتشرة.

العنوان الثالث: دور بني جبلة من كندة

حدّد الطـبري في إحـدى روايـاته وأبـو الفرج في المقاتل والشيخ المفيد في الإرشـاد والفتال في روضة الواعظين المنطقة تحـديداً يحصر المحلّة من حيّ كندة، ويقرّبنا أكثر من بيت طوعة، قالوا:

.. فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب! حـتّى خـرج إلى دور

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

٢. انظر: تاريخ الكوفة للبراقي: ١٦٣.

بني جبلة من كندة، فمـشى حـتّى انـتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة،[١]..

وبهذا نعرف أنّ دارها كانت في الكوفة في جهة القبلة جنوباً، في منطقة بني جبلة مـن حي كندة.

تبقى هنا إشارتان ربما تعين الباحث عـلى تحديد أكثر لموقع الدار، وهما:

الإشارة الأولى:

لم يكن بيتها قريباً من المسجد

يبدو من النصوص التاريخية أنّ دار طوعة لم يكن قريباً جـدّا مـن المسـجد الأعـظم، ويشهد لذلك تعبير المؤرّخ بما يفيد أنّ المولى الغريب جعل يتردّد في أزقّة الكوفة ويطوف في شوارعها ويمشي حتّى أتى الباب..

فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة[١] .....

ربما كان هذا النصّ ـ وغيره من النصوص التي مرّت معنا مراراً ـ معبّراً عن وجود مسافة غير قصيرة بين دارها والمسجد الأعظم، لكنّه يبقى محصوراً بين كري سعد «كري سعدة» والمسجد الأعظم، لأنّ الكري كان حدّاً للكوفة من تلك الجهة[٢]، وهو لا يبعد عن المسجد الأعظم أكثر من كيلومترين[٣]..

الإشارة الثانية: بيتها في زقاق

كانت الكوفة مقسّمة يومذاك إلى مناهج وسكك وأزقّة، وهي تختلف حسب السعة

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.
٢. انظر: تاريخ الكوفة للبراقي: ١٥٥.
٣. نرجو من الله أن يوفّقنا أو يوفّق ذوي الاختصاص، لتحديد موقع جبلة من كندة في بقعة معيّنة من حيّ كندة..

عرضاً من خمسين ذراعاً إلى خمسة وعشرين ذراعاً وهكذا.

وقد انقسمت المصادر في تحديد موقع بيت طوعة إلى ثلاث أقسام:

منها: ما لم يصرّح بالزقاق أو الشارع.

ومنها: ما عبّر بالشارع.

ومنها: ما عبّر بالزقاق.

ويبدو أنّ الطائفة الثالثة هي الأكثر والأضبط في التعبير، إذ أنّه دار في حيّ، فيقتضي أن يكون واقعاً في زقاق لا في سكة ولا منهج، كما يمكن حمل الشارع على الزقاق...

صفة الدار

لم نجد ـ حسب فحصنا ـ مصدراً يرسم لنا صفة الدار من الخارج سوى ما ذكر في مقتل أبي مخنف المشهور ونور العين للاسفراييني :

قال أبو مخنف : فلمّا سمع مسلم بن عقيل عليه‌السلام قتل هانئ رحمه‌الله ، خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتّى خرج من الكوفة ، وأتى الحيرة وجعل يدور فيها ، حتّى بلغ إلى دار عالية البنيان ، وفيها دهليز كبير ، وامرأة جالسة على باب الدهليز ، فوقف مسلم ينظر إليها .[1]

وفي نور العين في مشهد الحسين عليه‌السلام :

فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها[2] ...

١ . مقتل أبي مخنف المشهور : ٣١.

٢ . نور العين في مشهد الحسين عليه‌السلام للاسفرائيني : ٢٧.

وبالرغم من أنّ خبر المقتل يتحدّث عن الدار في الحيرة ، فإنّه وصف للدار .

وقد اتّفقا على أنّ الدار كانت عالية البنيان ، وزاد في مقتل أبي مخنف المشهور أنّ فيها دهليزاً كبيراً ..

وهذه الصفة تنبؤ عن دار ضخمة فخمة منيفة في تلك الأعصار ، لأنّ التعبير بارتفاع البنيان وعلوّه يحكي تكثّر مرافقه ، وربما أفاد أنّه أكثر من طابق ، ووجود الدهليز يحكي سعته وامتداده في العمق ..

أمّا من الداخل فقد أفاد الطبري وابن كثير والشيخ المفيد وأبو الفرج والفتال وغيرهم ، واللفظ للطبري :

فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذى تكون فيه ، وفرشت له ، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها ، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه ، فقال : والله إنّه ليريبني كثرة

دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إنّ لك لشأناً ..

وهذا النصّ يفيد صراحة أنّ الدار كان فيها أكثر من بيت «غرفة»، لأنّها «أدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه ..».

وربما أفاد أنّ البيت الذي نزل فيه المولى الغريب لم تكن تعتاد دخوله لاستغنائها عنه، حيث أثار فضول ابنها حسب النصّ.

سبب وقوفها على الباب

اختلفت المصادر في تقرير الموقف، كما اختلفت من قبل، وسوف نقسّمها إلى وقفات لنستطلع الأمر:

الوقفة الأولى: مصادر لم تذكر وقوفها

أغفلت بعض المصادر ذكر الوقوف على الباب، ولم تتعرّض لذلك نفياً أو إثباتاً:

قال ابن سعد:

.. وجاء الليل فهرب!! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها «طوعة»، فاستجار بها[1] ..

وقال البلاذري:

ودفع! إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»، فاستسقى ماء، فسقته ...

وقال الطبري:

١. الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

.. فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان[1] ..

ربما يقال: إنّ قوله «حتّى دخل» و«فدخل ..» يفيد أنّها لم تكن واقفة بالباب، وإنّما دخل عليها المولى الغريب، فإن صحّت الإفادة يدخل النصّ في الوقفة الثانية.

الوقفة الثانية: لم تكن واقفة على الباب

تفيد نصوص هذه الوقفة أنّ طوعة لم تكن واقفة على الباب، وإنما خرجت إليه بعد أن نزل على بابها:

قال الطبري، والشجري والمزي وابن حجر:

فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته[1] ..

وقال ابن الجوزي:

فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها يا أمة الله اسقيني ماءاً فسقته وقالت من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل فدخل، وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث[2]

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

.. فأتى باباً فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها «طوعة»[3] ..

وعبارة ابن كثير أكثر العبارات وضوحاً حيث أفاد أنّها إنّما خرجت بعد أن طرق المولى الباب ..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.
٢. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.
٣. البداية والنهاية: ٨ / ١٥٥.

الوقفة الثالثة: كانت واقفة على الباب من دون ذكر السبب

صرّحت بعض المصادر بوقوفها على الباب من دون ذكر السبب:

قال ابن الأعثم في الفتوح:

.. وكانت المرأة واقفة على باب دارها، فسلّم عليها مسلم بن عقيل، فردّت عليه السلام[1]

وقال ابن حبان في الثقات:

.. فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده، فرأى امرأة على باب دارها، فاستسقاها ماء[2]..

الوقفة الرابعة: كانت واقفة تنتظر ولدها

صرّح الطبري في إحدى رواياته أنّها كانت واقفة على الباب تنتظر ولدها، وكأنّه

١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٨.
٢. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

يخبر عن قلقها عليه لخروجه مع الناس، وكان الوضع يومئذ ملتهباً، وقد دهمها الليل وتأخّر الوقت وهو بعد لم يعد إلى البيت، فخرجت تترقّب الطريق وتتسقّط الأخبار وتستعجل عودته إليها..

قال الطبري:

.. فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره، فسلّم عليها ابن عقيل[1]..

وقال ابن الأثير:

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١ وما بعدها.

كندة، فلمّا خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها «طوعة» أمّ ولد كانت للأشعث وأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره[1]..

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين:

وكان بلال قد خرج مع الناس، وأمّه قائمة تنتظر، فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت السلام[2]..

وقال الشيخ المفيد:

.. وكان بلال قد خرج مع الناس فأمّه قائمة تنتظره فسلّم عليها ابن عقيل فردّت عليه[3]..

١. الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣٢.
٢. مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٠٤.
٣. الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣.

ملاحظات:

الملاحظة الأولى:

يلاحظ أنّ المصادر القديمة ـ حسب فحصنا ـ لم تنصّ على وقوفها بالباب أو على سبب وقوفها، سوى ما ذكره الطبري في إحدى رواياته، والذين جاءوا من بعده من قبيل أبي الفرج وابن الأثير والشيخ المفيد، والشواهد تشير إلى أخذهم عنه..

الملاحظة الثانية:

ذكرنا في أكثر من مناسبة أنّ المؤرّخ والراوي يصوغان الحدث وفق بناءاتهم العقلية والدينية والذهنية والنفسية وغيرها من المؤثرات، ولكنه أحياناً يضيف تحليلاً أو تصوّراً بصراحة ليعلل به المشهد أو يتمّم به الصورة التي يريد لها أن تظهر للعيان أمام القارئ..

وهنا نحسب أنّ ما ذكره الطبري كان من هذا القبيل، إذ لم يصرّح بذلك أحد من أشخاص الحدث، لا طوعة نفسها ولا ابنها ولا غيرهما، وإنما هذا ما تصوّره أو ما صوّره لنا المؤرّخ تفسيراً لوقوفها على الباب.

ويمكن أن نفترض لوقوفها أسباباً أخرى من قبيل: أنّها كانت واقفة تنتظر مسلماً عليه السلام بناء على احتمال أن تكون مبلغة بمجيء مسلم عليه السلام عندها، وأنها كانت تنتظره إلّا أنّها لا تعرفه شخصاً، كما مرّ فيما مضى من البحث.

أو أنّها كانت واقفة ترقب الأحداث، وهي امرأة لا تريد الخروج، وما شاكل من الفرضيات التي تنسجم مع المشاهد الآنفة الذكر..

كيف حصل اللقاء

ذكرنا فيما مضى بعض الاحتمالات عند الحديث عن مشاهد موقف المولى الغريب عليه السلام والنصوص المؤيّدة لها، وهنا نذكر بعض النصوص التي تصوّر لنا كيفية لقاء المولى الغريب عليه السلام بطوعة، وقد اختلف المؤرّخون في تصوير ذلك:

الصورة الأولى:

دخل عليها واستجار بها!

قال ابن سعد:

وجاء الليل فهرب مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها[1]..

لقد ناقشنا هذا الخبر في أكثر من موضع، ونرى من القبيح أن نذكره، لولا ضرورة

١. الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

البحث التي تدعونا لاستقصاء ما وقع لنا من النصوص التاريخية، ولولا ذلك لكان من التفاهة والسخافة والحمق اعتبار كلام ابن سعد خبراً يناقش وكلاماً يعرض على مجنون ليصدّقه فضلاً عن العاقل.

لكننا ذكرناه لنعرف مدى مظلومية المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام والجسارة التي تعرّض لها من قبل حفنة من الجهلة وشرذمة من شذاذ الآفاق، حتّى جرّت بهم الوقاحة أن تسيل أقلامهم بهذا اللعاب الموبوء..

هرب؟! ثم دخل على امرأة؟! هكذا اقتحم عليها اقتحام المضطر المستكين؟! ثم استجار بامرأة؟!

أمسلم بن عقيل البطل الهاشمي والليث الطالبي والشجاع الحيدري والكريم الحسني، والأبي الحسيني يستجير؟! يستجير؟! يستجير بامرأة؟! ولتكن طوعة رضوان الله عليها من تكون.. تبقى امرأة من

عرض الناس الأشراف النبلاء والصالحين العظماء، لكنّها تلجأ إلى مسلم وتستجير به، ولا تكون مستجاراً له.. لو أنّ الكوفة وما والاها استجاروا جميعاً بسيف مسلم بن عقيل لأجارهم وحماهم..

هكذا هو التاريخ، وسترى في بعض الصور القادمة مشاهد قاتمة ينبو عنها الطبع السليم.

الصورة الثانية:

استسقى ثم طلب المأوى

قال البلاذري:

.. ودفع! إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»، فاستسقى ماء، فسقته، ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذبني هؤلاء القوم، وغرّوني، فآويني، فأدخلته منزلها وآوته[1]..

---

١. جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

ربما يستفاد من قوله «ودفع» أنّه اضطر إلى باب طوعة، فيحمل على أحد المشاهد التي أسلفناها في تصوير موقفه عليه السلام.

الصورة الثالثة: طرق الباب

في البداية والنهاية لابن كثير:

.. فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردّد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها «طوعة»[1]..

هذه الصورة أيضاً تقبل بالمقدار الذي يوافق بعض المشاهد الآنفة في تصوير موقفه عليه السلام، بشرط أن لا يكون فيها خدش بساحة قدسه، أو تشويه لحقيقة أمره.

الصورة الرابعة: نزل على باب

روى الطبري والمزي وابن حجر

١. البداية والنهاية: ٨/ ١٥٥.

والشجري:

.. فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته[1]..

الصورة الخامسة:

كانت تنتظر ولدها فأدخلته

قال الدينوري:

.. فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتّى دخل حيّ كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها[2]..

وقال الطبري:

.. فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت

١. تاريخ الطبري: ٥/ ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١/ ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢/ ٣٥١.

٢. الأخبار الطوال: ٢٤٠.

له بلالاً، وكان بلال، قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره، فسلّم عليها ابن عقيل، فردت عليه، فقال لها: يا أمه الله، اسقيني ماء[1]..

الصورة السادسة: جلس فخرجت إليه

قال ابن الجوزي في التذكرة:

.. وجعلوا يكلّمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءاً فسقته[2]...

الصورة السابعة:

كانت جالسة فوقف عليها

في نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١ وما بعدها.
٢. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

.. فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار[1]..

وهنا أيضاً بغضّ النظر عن الكتاب ونسبته للمؤلف وما فيه من أخبار شاذة، ينقل لنا صورة وقوفه عليه السلام ينظر إلى تلك الدار والمرأة جالسة على بابها بشكل مريب لا يطاق سيما إذا لوحظ مع تتمّة الخبر، كما سيأتي الحديث عنه في «حوار الباب».

١. نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

حوار الباب

اخـــتلف المـــؤرّخون في نـــصّ الحـــوار والأحداث والحركات التي زامـنت الحـوار بين مفصّل ومجمل، واقتطعت بعضها الحوار فلم تذكره أبداً.

مصادر لم تذكر حواراً

قال ابن سعد:

.. وجاء الليل فهرب ! مسلم حتّى دخـل على امرأة من كـندة يـقال لهـا: «طـوعة»، فاستجار بها[١]..

وقال الدينوري:

.. فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتّى دخل حيّ كندة، فإذا امرأة قائمة عـلى باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم، فآوته، وأدخلته بيتها[٢]..

١. الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.
٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

وقال الطبري في إحدى رواياته:

.. فـخرج مسـلم فـدخل داراً مـن دور كندة[١]..

مصادر ذكرت الحوار

أمّا المصادر التي ذكرت الحوار فقد نـقلته بصور شـتّى، سـنسمعها ضـمن الحـوارات التالية:

الحوار الأوّل: البلاذري:

.. ودفع ! إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»، فاستسقى ماء، فسقته.

ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بـن أبي طالب، كذبني هؤلاء القوم، وغـرّوني، فآويني. فأدخلته منزلها وآوته[٢]..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.
٢. جمل من أنساب الأشراف للـبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

الحوار الثاني:

الطبري، الشجري، المزي، ابن حجر:

.. فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته.

ثم دخلت، فمكثت ما شاء الله، ثم خرجت، فإذا هو على الباب.

قالت: يا عبد الله! إنّ مجلسك مجلس ريبة! فقم.

قال: إني أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟

قالت: نعم، ادخل[1]..

الحوار الثالث: الطبري:

.. فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال، قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره.

فسلّم عليها ابن عقيل، فردت عليه.

فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءاً.

فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت الإناء، ثم خرجت، فقالت: يا عبد الله! ألم تشرب؟!

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك. فسكت، ثم عادت، فقالت مثل ذلك، فسكت.

ثم قالت له: في الله! سبحان الله! يا عبدالله! فمر إلى أهلك عافاك الله، فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحلّه لك.

فقام فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر

مـــنزل ولا عشـــيرة، فـــهل لك إلى أجـر ومعروف، ولعلّي مكافؤك به بعد اليوم!

فقالت: يا عبد الله، وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كـذبني هـؤلاء القوم وغروني.

قالت: أنت مسلم!

قال: نعم.

قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه[1]..

الحوار الرابع: ابن أعثم:

.. وكانت المرأة واقفة على بـاب دارهـا، فسلّم عليها مسلم بن عقيل، فـردّت عـليه السلام، ثم قالت: ما حاجتك؟

قال: اسقيني شربة من الماء فقد بلغ مـنّي العطش.

قال: فسـقته حـتّى روى، فـجلس عـلى

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

بابها.

فقالت: يا عبد الله! ما لك جالس؟! أمـا شربت؟

فقال: بلى والله، ولكـنّي مـا لي بـالكوفة منزل، وإني غريب قد خذلني من كنت أثق به! فهل لك في معروف تصطنعيه إليّ، فـإني رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافئ بالإحسان.

فقالت: وكيف ذلك؟ ومن أنت؟

فقال مسلم: خلّي هذا الكلام! وأدخليني منزلك عسى الله أن يكافئك غداً بالجنّة.

فقالت: يـا عـبد الله! خـبرني إسمك، ولا تكتمني شيئاً من أمرك، فإني أكره أن يدخل منزلي من قبل معرفة خبرك، وهذه الفـتنة قائمة، وهذا عبيد الله بن زياد بالكوفة.

فقال لها مسلم بن عقيل: إنّك لو عـرفتني حقّ المعرفة لأدخلتني دارك، أنا مسلم بـن عقيل بن أبي طالب!

فقالت المرأة: قم فادخل رحمك الله!

فأدخلته منزلها[١]..

الحوار الخامس: ابن الأثير:

.. فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلمّا خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها «طوعة» ... فسلّم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته، فجلس.

فقالت له: يا عبد الله! ألم تشرب؟

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت.

فقالت له ثلاثاً فلم يبرح.

فقالت: سبحان الله! إنّي لا أحلّ لك الجلوس على بابي.

فقال لها: ليس لي في هذا المصر منزل ولا

١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٨.

عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلّي أكافؤك به بعد اليوم؟

قالت: وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني.

قالت: ادخل[١].

الحوار السادس:

نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:

فلمّا علت الضجّة في دار هانئ لأجل قتله وكثر البكاء خرج مسلم بن عقيل، وجعل يطلب لنفسه مجيراً ودار في شوارع الكوفة.

فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار.

فقالت له المرأة: يا فتى ما وقوفك على هذا الباب وفي الدار حريم؟

١. الكامل: ٤ / ٣٢.

فقال لها: يا أمة، والله ما خطر ببالي شيء من ذلك، وإنما أنا رجل مطلوب وأريد من يجيرني بقية يومي هذا.

فقالت له المرأة من أيّ الناس أنت؟

فقال: من بني هاشم، أنا مسلم بن عقيل، قد غمرني هؤلاء القوم وبايعوني ونقضوا بيعتي.

فقالت: وأنا من بني هاشم، وأحقّ بإجارتك[١]...

***

١. نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

كلمة عجلان:

اكتفينا هنا بذكر نماذج من الحوار الذي رواه المؤرّخون بين المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام والمرأة النبيلة طوعة، ولا نريد مناقشتها بالتفصيل، بيد أنّنا نشير إلى تذكيرين فقط:

التذكير الأوّل: من عرف مسلماً

تركنا التعليق على تفاصيل الحوارات اعتماداً على القارئ الذي عرف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فإنّه سيميّز بعد أن تعرّف إلى شخصية المولى الغريب وأخلاقياته ومقامه ومنزلته أيّ حوار سيصدق وأيّها لا..

وربما قيّض الله من هو أجدر بنا وأخبر لمناقشتها، أو رزقنا الله خدمة المولى من جديد بتوفيق جديد ينهض بنا لمناقشتها بالتفصيل.

التذكير الثاني: الميزان العام

لقد قدّمنا في أكثر من موضع موازين عامّة للـنظر في أخـبار المـؤرّخين، وهـي جمـيعاً تنطبق هنا بالتمام والكمال، فكلّ ما لم يخالف عقائدنا ومرتكزاتنا الحقّة نقبله وإلّا فـنردّه أو نتوقف فيه.

فما كان من الحوارات يـعرض لنـا المـولى الغريب والشجاع الأبي في مـشهد الخـائف المستجير أو المستجدي المستعجل ـ والعياذ بالله ـ، فنحن لا نقبله ولا نصدّقه.

وكذا ما يخالف غيرة الأبي الكريم ورجـل الحفاظ وصاحب الأنفة الهـاشمية النـبوية، الذي تأبى له الحجور الطيبة والأنوف الحمية من قبول الصغار والذل، كما لو يطّرد من باب أكثر من مرّة ويبقى هو مصرّاً متوسلاً لعـلّه يستعطف قلب المخاطب فيؤويه..

إن كان هذا مقبولاً عند الهاشميين الكرماء والسادة النبلاء، وأهـل الشرف والعـلياء،

فليقبل في المولى سفير الحسين عليه السلام، وإلّا فلا.

أمّا ما ورد في نور العين فهو تصوير هابط، ونكاية يأنف عـن التـفوّه بهـا مـن له أدنى معرفة بـالمولى الغـريب، ولا نـدري كـيف يسمح جاهل فضلاً عـن العـالم أن يـدخل الريبة إلى ساحة رجل تعلوه هـالة القـدس النبوي، وتشـعّ مـن وجـهه أنـوار الإيمـان الطالبي، وتحوطه الهيبة الحيدرية، تبرق من عينيه لمعات التقى، تكتنز أحـداقـه مـعادن الحلم والنهى، وتفيض من نـظراتـه الرحمـة الحسينية، وهو غريب قضى يـوماً صـاخباً بالأحداث الجسيمة.. ومع كلّ هذا تـرتاب المرأة من نظراته؟! ويقسم لها على براءتـه؟! تعساً لهاتيك الأقلام الخائبة.

ولـدها

ابن من؟

اكتفت بعض المصادر بالنصّ عـلى كـونه مولى لمحمد بن الأشعث، وأغفلت نسبه، كما فعل الطبري في إحدى رواياته، والشجري والمزي وابن حجر وسبط ابـن الجــوزي في التذكرة[١]..

وفي خبر آخر للطبري وغيره صرّح أنّـه ابن أسيد الحضرمي، قال الطبري:

.. طوعة، أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال[٢]..

---

١. تــاريخ الطـبري: ٥ / ٣٥٠، الأمـالي للشـجري: ١ / ١٩١، تهــذيب الكمــال للــمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهـذيب لابـن حـجر: ٢ / ٣٥١، تـذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٤٠.

٢. تــاريخ الطـبري: ٥ / ٣٧١، الكـامل في التـاريخ:

وانفرد ابن أعثم في الفتوح بنسبته إلى أسد بن البطين، قال:

.. حتّى صـار إلى دار امـرأة، يـقال لهـا: طوعة، وقد كانت فـيما مـضى امـرأة قـيس الكندي، فتزوّجها رجل مـن حـضرموت يقال له: أسد بن البطين، فأولدها ولداً يقال له: أسد.

اسمه:

والكلام في اسمه هـو نـفس الكـلام الذي ذكرناه آنفاً في تحديد اسم أبيه، والاختلاف نفس الاختلاف وقد سمّاه الطـبري وغـيره «بلالاً»، وانفرد ابن أعثم بتسميته «أسداً».

النصّ على خيانته لضيفه

نصّت جملة من المصادر على خـيانة ابـن

← ٤ / ٣١، مقاتل الطالبيين: ١٠٤، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣.

طوعة لضيفه، وأنّه نام تلك الليلة وغدا مصبحاً ليخبر عن مكان ضيفه ونزوله عندهم، وبذلك دلّ على المولى الغريب، فبعث ابن الأمة الفاجرة في طلبه..

وقد اختلفت المصادر ـ كما هو المعهود في أخبار المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ـ في الشخص الذي أخبره ابنها إلى ثلاثة أقسام:

لمن أخبر؟

الإخبار الأوّل:

أخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

قال البلاذري وغيره:

.. وجاء ابنها فجعل ينكر كثرة دخولها إلى مسلم وخروجها من عنده، فسألها عن قصّتها، فأعلمته إجارتها مسلماً، فأتى عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث فأخبره بذلك.

وكان ابن زياد، حين تفرّق عن ابن عقيل

الناس فتح باب القصر، وخرج إلى المجلس، فجلس فيه، وحضره أهل الكوفة، فجاء عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث إلى أبيه، وهو عند ابن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل، فأعلم محمد بن الأشعث ابن زياد بذلك، فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به[1]..

وقال الدينوري:

.. وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وهو حينئذٍ غلام حين راهق، فأخبره بمكان مسلم عنده.

فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث، وهو جالس مع ابن زياد، فأسرّ

١. أنساب الأشراف: ٢ / ٨١، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣ وما بعدها، البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٩، أسرار الشهادة للدربندي: / ٢٢٣، نفس المهموم للقمّي: ١٠٦، روضة الواعظين للفتال: ١٥٠، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٢، لواعج الأشجان: ٥٥.

إليه الخبر[١].

الإخبار الثاني: محمد بن الأشعث

قال الطبري والمزي والشجري وابن حجر:

.. وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلمّا علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره[٢]..

وقال المسعودي:

.. وجاء ابنها، فعلم بموضعه، فلمّا أصبح غدا إلى محمد بن الأشعث فأعلمه، فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به[٣]...

١. الأخبار الطوال: ٢٤٠.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.
٣. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٨.

الإخبار الثالث: أخبر ابن زياد

قال ابن حبان:

.. كان للمرأة ابن فذهب الابن وأعلم عبيد الله بن زياد أنّ مسلماً في دار والدته[١]...

***

كيف كان! فإنّ مؤدّى هذه الأخبار جميعاً أنّ ابن طوعة هو الذي أفشى بمكان المولى عندهم وخان ضيفه، سواء أخبر عبد الرحمن بن محمد، وكان غلاماً قد راهق، أو أخبر محمد بن الأشعث مولاه ـ حسب بعض المصادر ـ أو أخبر ابن زياد مباشرة، باعتبار أنّه خبر مهمّ جعلت له الجعل، ووعد ابن الأمة الفاجرة لمن جاء به الحظوة والزلفى، حسب المصادر، فلماذا يتوصّل ابن طوعة إلى ابن زياد عن طريق غلام قد راهق؟

١. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

المصادر التي لم تنسب الخيانة له

قال ابن سعد:

... وجاء الليل فهرب! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: «طوعة»، فاستجار بها.

وعلم بذلك محمد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم فجيء به[1]..

وقال الطبري في التاريخ:

.. فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إنّ مسلماً في دار فلان[2]..

يلاحظ في هذين النصّين إغفال التصريح بابن طوعة، حيث قال ابن سعد: «وعلم

١. الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

بذلك محمد بن الأشعث بن قيس»، وقال الطبري: «فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه».

وربما قيل بحمل هذا الإجمال على ذاك التفصيل، فيكون ابن الأشعث قد علم عن طريق ابن طوعة، ويكون الرجل الذي جاء محمداً هو ابنها، من دون تنصيص على الاسم، وتصريح بتحديد هويته.

لكن يبقى لمن أراد تجنّب نسبة الخيانة لابن طوعة الاستناد إلى هذين المصدرين.

ما هي الضرورة لقبول خيانة ابن طوعة

لم تصلنا معلومات عن ابن طوعة تسمح لنا باتّخاذ موقف من تصرفاته، وتكشف لنا هويته كشفاً وافياً كافياً، وتعرّفنا بتربيته وأخلاقياته، سوى ما ورد في بعض المصادر من كونه كان مولاً لمحمد بن الأشعث، فربما يستفاد من ذلك أنّه على ملّة مولاه قد أخذ

عنه أخلاقياته وممارساته، ويشهد لذلك ما قاله الطبري في حقّه بلفظ «زعموا»، قال:

.. وزعموا أنّه قد كان شريداً من الناس، وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له[1]..

هذا ما يخصّ ابن طوعة، بيد أنّ سؤالاً قد يثب هنا للذبّ عن هذه المرأة الحرّة وعن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام:

السؤال الأوّل:

لماذا يضطرّنا المؤرّخ لقبول نسبة الخيانة لولد المرأة الصالحة، ويفرض لنا في أغلب الأحيان خيانة في بيت شيعي أو ناصر لأهل البيت عليهم السلام؟

ولا يخفى أنّ هذه الخيانة تؤدّي إلى لوازم غاية في الخطورة على طوعة نفسها، فالقضية ليست خفر ذمام الضيف فحسب،

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

فيحكم بمقاييس الأعراف العربية، أو الموازين الشرعية، فيكون مخالفاً لخلق رفيع، أو مرتكباً لمعصية كبيرة، وينتهي الأمر عند هذا الحدّ.

القضية تمسّ العرض والشرف مباشرة، إذ أنّ الوشاية بأولياء الله والسعي في خيط رقبتهم والمتاجرة بدمائهم لا تصدر من رجل ركض في رحم طاهر، وخلق من نطفة نظيفة.. وقد قرأت مرّة في كتاب لا يحضرني الآن اسمه، تعبيراً قاسياً لولا ضرورة البحث كنت أربأ بنفسي عن ذكره، حيث عبّر مؤلفه عن ابن طوعة قائلاً: «فجاء نغلها»!!

هذا من نتائج القول بخيانة ابن طوعة..

السؤال الثاني:

ما هي الضرورة لأن يخبر ابن طوعة بالخصوص مع أنّ الكوفة كانت مزدحمة، والمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام كان

مميّزاً، وقد رآه الناس يدخل بيت طوعة، أو ـقل على الأقلّ ـ رآه الراوي ونقل لنا قصّته، فلماذا لا يعرف ابن زياد إلّا من خلال خيانة ابن المرأة الصالحة؟!

السؤال الثالث:

يلاحظ تكرّر مشهد وقوع المولى الغريب في فخّ الجواسيس وتقتحمه العيون، وهو ـ والعياذ بالله ـ غافل!!

***

ربما أمكن الاستناد إلى المصادر التي تركت المخبر مجهولاً من دون نصّ على ابن طوعة، فقد علم ابن الأشعث، أو أنّ رجلاً علم بذلك فأعلمه.. وليكن هذا الرجل ممّن رأى المولى الغريب داخلاً إلى بيت طوعة، فجاء وأخبر..

ويمكن افتراض أنّ ابن الأشعث أو غيره من رجال كندة كذب على ابن طوعة أمام

ابن زياد، فنسب الإخبار إليه ليكون الدالّ على المولى الغريب هو نفس الذي استضافه، وبذلك يبرء ساحته أمام ابن الأمة الفاجرة ويعفي عرافة كندة وابن الأشعث نفسه من العقوبات المعلنة من قبل ابن زياد لمن استضاف المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام.

كانت ممّن خفّ مع المولى الغريب عليه السلام

قال الدينوري:

.. فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كندة.

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها[1]...

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

يمكن الاستفادة من هذا النصّ عدّة فوائد:

الفائدة الأولى:

إنّ طوعة كانت ممّن شارك المولى الغريب في الأحداث التي جرت عليه، فإذا كانت ممّن خفّ مع مسلم عليه السلام، فهي ليست غريبة عن الجو، تسمع الأخبار وتتابع الحدث، ولولا ذاك لما صحّ التعبير عنها أنّها ممّن خفّ معه عليه السلام.

الفائدة الثانية:

يشهد هذا التعبير لاحتمال أن يكون المولى الغريب قد قصد بيتها باتفاق مسبق، كما مرّ في بيان موقفه عليه السلام، باعتبار أنّها امرأة غير معروفة ولا مشهورة قبل ذلك اليوم، وكانت قد أخبرت بمجيء المولى إلى بيتها، فربما كانت واقفة على الباب تنتظره، وتعبير المؤرّخ بانتظار ابنها تفسير منه للوقوف.

الفائدة الثالثة:

يلاحظ أنّ النصّ لم يذكر حواراً بين طوعة وبين المولى الغريب، ولا استنكاراً لوقوفه، ولا طلباً منه بالإيواء، «فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها»..

الفائدة الرابعة:

يكشف النصّ عن دافع مهمّ لاستضافته عليه السلام، فهي لم تستضفه كما في بعض النصوص لأنّها رقّت له، أو لأنّه ألحّ عليها بطلب الدخول، أو أنّه استجار بها فأجارته، وإنّما كانت واحدة من أفراده في الكوفة، فأقبل إليها، فأدخلته.

وقد أشار الشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ رحمه الله وحشره مع سيّد الشهداء عليه السلام ـ في كتابه «أنصار الحسين عليه السلام» إلى الدافع الذي دعا طوعة لاتّخاذ هذا الموقف، وأوعز ذلك

بترجيح أن تكون نتيجة سلوك الموالي ومواقفهم مع القيام الحسيني، فقال وهو يتحدّث عن علاقة «الموالي بالثورة الحسينية ودلالات هذه العلاقة»:

ومن هذه الإشارات أنّ السيّدة الأرملة التي لجأ! مسلم بن عقيل إلى منزلها بعد أن فشلت حركته! وتفرّق الناس عنه، وهي السيّدة طوعة، كانت مولاة لمحمد بن الأشعث، وقد أدخلت مسلم بن عقيل إلى منزلها بمجرد أن عرفت اسمه، دون أن تبدي أيّ حذر ممّا قد تجرّ عليها استضافته عندها من متاعب، وقد أخفته، وهي تعلم بأنّه مطلوب من السلطة...

وقال أيضاً:

وهل تدلّ استجابة السيّدة طوعة لطلب مسلم بن عقيل وإخفائه في منزلها، بعد أن أعلمها بأنّ أهل الكوفة قد خذلوه، على أنّها قد تصرّفت لموقف نفسي إيجابي من الثورة

حال بينها وبين أن تفكّر في عواقب تصرّفها؟

لا نملك أجوبة حاسمة على هذه التساؤلات، وإن كنّا نرجّح أن الاعتبارات السياسية والاجتماعية في ذلك الحين تدعونا إلى تقديم إجابة موافقة وإيجابية.

فنحن نعلم أنّ الموالي كانوا على علاقة وثيقة بالإمام علي بن أبي طالب، ناشئة من سياسة الإمام العادلة التي ساوتهم بغيرهم من المسلمين، وقد نقم بعض زعماء القبائل على هذه العلاقة، فقال الأشعث بن قيس للإمام علي: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء[1] على قربك.

ومن المؤكد أنّ هؤلاء كانوا في أيام يزيد بن معاوية لا يزالون يتذكرون أنّ حياتهم في السنين القليلة لخلافة الإمام علي بن

١. الحمراء: هو الاسم القديم الذي أطلق على الفرس المسلمين، ثم أطلق على الروم المسلمين. (منه ﷺ).

أبي طالب كانت أكثر رخاء واستقراراً وكرامة من حياتهم في ظلّ حكم معاوية بن أبي سفيان الذي عاملهم نظامه باحتقار شديد، والذي كان يفضّل أن يقتل بطريقة ما نصفهم خشية من تزايد عددهم وما يستتبع هذا من مشكلات سياسية[1]...

إلى آخر ما قاله رحمه الله، ونحن لا نستطيع أن نوعز موقفها بدقّة إلى داعٍ بعينه، كما أنّنا لا نستطيع أن نجزم بأنّها كانت مولاة، لوجود مصادر تفيد أنّها كانت من حرائر كندة.

ولا يخفى أنّ موقفها كان يعني الموت الأحمر تماماً، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وهو موقف مشرّف وباعث على المباهاة والفخر والاعتزاز، وسواء كانت مولاة أو حرّة فإنّها أدّت ما عليها نصرة للحقّ وأهله..

---

١. أنصار الحسين عليه السلام لشمس الدين: ١٩١ وما بعدها.

موقفها

هل وقف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام على بيتها هكذا من دون تخطيط سابق؟

هل كان ثمّة اتفاق معها على رجوع المولى إلى بيتها بعد انتهاء الحدث، باعتبار أنّها كانت ممّن خفّ معه، وأنّها امرأة أبعد ما تكون عن عيون السلطان؟

هل استنسق المولى طوعة، فعرفته ودعته إلى بيتها؟

هل كان المولى قاصداً الرجوع إلى بيت هاني، أو إلى بيت آخر كان قد عزم على الرجوع إليه، غير أنّ طوعة دعته فدخل؟

هل خرجت طوعة إلى المولى الغريب ودعته؟

الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها من الاحتمالات تعرّضنا لها خلال دراسة موقف

المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فلا نعيد.

نهايتها

لقد هدّد ابن الأمة الفاجرة ابن زياد كلّ من يتعاون مع المولى الغريب ببراءة الذمّة منه، وإهدار دمه، وبإسقاط العرافة من العطاء، وكان قد أخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال في إحدى هذياناته من فوق الأعواد:

اكتبوا إليّ الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه.

وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير

المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء، وسير إلى موضع بعمان الزارة[١].

وقال أيضاً في كلام له:

.. فبرئت ذمّة الله!!! من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديّته[٢]..

وهذا الوغد الحقير معروف بالانتقام والحقد والضغينة المتراكمة في أعماقه منذ انعقاد نطفته المركبة القذرة، وهو في وقت يريد أن يفرض فيه واقعاً مرعباً وإرهاباً كابحاً وترويعاً مانعاً يزدري به الناس ويستخفّهم ليطيعوه..

فيلزم أن يقدم على ردّ فعل يكون عبرة لمن اعتبر، ونكالاً لمن أراد أن يتخطّى حدود ما رسمه اللعين في الكوفة..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

فهل تمادى على المرأة الصالحة ونفّذ تهديداته ووعيده؟

هل قتلها وهدم دارها وأسقط عرافة من انضوت تحت عرافته؟

هل أسقط العرافة التي تنتمي إليها طوعة من العطاء؟

أم أنّ اللعين اعتبر خيانة ابنها ـ حسب المصادر ـ شفيعاً لها فتركها؟

أو أنّ ابن الأشعث افترى على ابنها ونسب الخيانة له ليكون عذراً لها؟

أو أنّ وجهاء كندة تدخلوا فأنقذوها من مخالبه؟

أو أنّه اعتبرها امرأة خارجة عن دائرة التهديد فتركها؟

لم يسعفنا التاريخ ـ حسب فحصنا ـ بجواب لهذه التساؤلات، ربما وفّق الله من يجد الجواب.

قالوا في طوعة

السيّد حسين البراقي (ت ١٣٣٢):

طوعة: وهي أم ولد حازت شرف التاريخ، إذ عرفت قيمة الفضيلة، بينما قومها ضيّعوا هذا الشرف الخالد وغرّتهم المطامع[١]..

السيّد المقرّم

لقد كان في الكوفة ممّن تحلّى بسمات الرجال المهذّبين الذين لم تلم بساحتهم أيّ لائمة، ولا توجّهت إليهم مغبّة، وأنّه ذلك الإنسان الواحد الحاوي للشرف المعلّى، والذكر الخالد والثناء الجميل، وحضى بالرضوان مع حبيب الله وخاتم رسله، ألا وهي «طوعة».

١. تاريخ الكوفة للبراقي: ٣٢٨.

ولو كنّ النساء كمن ذكرنا
لفضّلت النساء على الرجال
فلا التأنيث باسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

أصحيح أنّ امرأة تفوق الرجال في الفضائل والفواضل؟ نعم إنّ ذلك لما أجنته في أضالعها من طهارة النفس، وشرف المنبت، والولاء الصحيح لأهل هذا البيت، فقامت بما يرضي الله ورسوله ويحبّذه الشرف والإنسانية، ويدعو إليه الخطر، والناس يتمايزون بالنفسيّات الكريمة والغرائز الطيبة والعمل الصالح.

وماذا على «طوعة» وقد طاوعتها نفسها على متابعة العقل واقتصاص أثر الدين وأداء أجر الرسالة بإيواء ابن عمّ سيّد الشهداء وممثّله الفذّ، فتحلّت بما تخلّى عنه ذووا الهمم القاصرة والنفوس الضعيفة والحلوم الضئيلة، فشعّ نورها بين هاتيك الظلم

المدلهمّة كما شاع ذكرها في الجوامع والزبر، وفي ثنايا الحقب والأجيال المتتالية فهي حيّة بعمرها الثاني حتّى يسكنها الله تعالى الخلد محبورة في جوار المصطفى ووصيّه المرتضى[1].

الشيخ عبد الواحد المظفّر:

إن الولاء والحبّ الراسخ في قلب هذه المرأة لأهل البيت عليهم السلام ليبعثها على التردّد إلى ذلك البيت الذي اختبأ!! فيه البطل الطالبي[2]، ويحثّها على الإكثار من الولوج عليه لتوفية حقّ الخدمة إذ كانت له عندها ثلاثة حقوق:

حقّ الولاء، وحقّ الجوار! والضيافة، وحقّ الولاء والتابعية[3]...

---

١. الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام للسيّد المقرّم: ١٣٥.
٢. أرأيت بطلاً يختبأ من عدوّ؟!
٣. سفير الحسين عليه السلام، مسلم بن عقيل عليه السلام: ٨٩.

الشيخ باقر شريف القرشي:

طوعة هي سيّدة من في المصر رجالاً ونساءاً بما تملكه من إنسانيّة ونبل[١]..

الأستاذ محمد نعمة السماوي:

.. موقف طوعة المرأة الشجاعة التي آوت مسلماً رغم علمها بقسوة الجلاد، وقد اهتمت به وأفردت له غرفة في منزلها وحاولت أن تكتم على وجوده لديها، ولعلّ عواطف الرحمة والحبّ لآل الرسول ﷺ قد أظهر تلك المرأة بذلك المظهر الفريد لتتميز علماً بين قريناتها عندما سجّلت ذلك الموقف الشجاع باستضافة مسلم رغم كلّ الأخطار المحتملة[٢]..

---

١. حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي: ١٥٦.

٢. موسوعة الثورة الحسينية لمحمد نعمة السماوي: ٥ / ٦١.

مواد البحث

إنّ ما مرّ من دراسة وبحث احتوت على نصوص تكرّر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحاظات شتّى مختلفة.

وثمّة نصوص أخرى استفدنا منها مرّة واحدة، بحكم الحاجة إليها.

وسنذكر هنا النصوص الأكثر استخداماً، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف ما فاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فلم نثبته، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من

مواضع البحث أن نرجع إلى المصدر، فإنّه سيجده هنا إن شاء الله.

الساعة الأخيرة في المصادر

ابن سعد: (ت ٢٣٠):

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو من ستّين رجلاً، فغربت الشمس، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد، وجاء الليل، فهرب مسلم! حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها![١].

البلاذري: (ت ٢٧٩):

... فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه؛ حتّى أمسى، وما معه إلّا نحو من ثلاثين رجلاً،

١. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي عن ابن سعد: ٣/ ٢٩٩.

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده يتلدّد في أزقّة الكوفة، ليس معه أحد، ودفع! إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»، فاستسق ماء، فسقته، ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذبني هؤلاء القوم، وغرّوني، فآويني. فأدخلته منزلها وآوته[1].

قال حصين: فحدّثني هلال بن اساف، قال: لقد تفرّقوا عنه، فلمّا قلّت الأقوات [الأصوات] فقيل لابن زياد: ما نرى معه كبير أحد، فأمر، فرفعت حرادي فيها النار، حتّى نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين.

فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم، فنهض

١. جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

إليهم قوم قاتلوا مع مسلم، فجرح مسلم جراحة، وقتل ناس من أصحابه، ولجأ مسلم إلى دار من دور كندة[1].

الدينوري: (ت ٢٨٢):

فلمّا سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور.

وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمّه فيقول: انصرف، فإنّ الناس يكفونك، وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع، فصلّى مسلم العشاء في المسجد وما معه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً، فلمّا رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى

١. أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤.

دخل على كندة.

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها[1]...

اليعقوبي: (ت بعد ٢٩٢):

ووجّه بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحّة نيّاتهم، فقاتل عبيد الله فأخذوه فقتله عبيد الله وجرّ برجله في السوق، وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إيّاه[2].

الطبري (ت ٣١٠) والشجري وأبو الفرج (ت ٣٥٦) والمزي وابن حجر:

فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره،

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.
٢. تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعبى ميمنته وميسرته، وسار في القلب إلى عبيد الله.

وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة، فجمعهم عنده في القصر، فلمّا سار إليه مسلم، فانتهى إلى باب القصر، أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكلّمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة.

فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة[1].

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد:

أنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها، فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١؛ تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف، فيذهب به.

فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتّى صلّيت المغرب، فما صلّى مع ابن عقيل إلّا ثلاثون نفساً.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى، وليس معه إلّا أولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان[1]، والتفت، فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو[2].

***

١. أبو الفرج، مقاتل الطالبيين: ٦٦ ـ ٦٧.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨ ـ ٣٧١.

فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر، فأغلق، وأمر منادياً فنادي: يا خيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظنّ أنّه في ملأ من الناس.

قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف، قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شمالاً إلّا وذهبت منهم طائفة؛ الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد. فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل: فصعد المنبر، وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى

رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة[١].

ابن أعثم: (ت ٣١٤):

قال: ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة، فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقّة الكوفة، وقد أثخن بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها: طوعة[٢].

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.
٢. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٠.

المسعودي: (ت ٣٤٦):

ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر منادياً فنادي: «يا منصور»، وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد، فتحصّن منه، فحصروه في القصر، فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل.

فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب، فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق، فنزل عن فرسه ومشى متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يتوجّه[١].

١. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٧.

ابن حبّان: (ت ٣٥٤):

ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد، فلمّا قرب من قصر عبيد الله نظر، فإذا معه مقدار ثلاثمائة فارس، فوقف يلتفت يمنة ويسرة، فإذا أصحابه يتخلّفون عنه حتّى بقي معه عشرة أنفس، فقال: يا سبحان الله! غرّنا هؤلاء بكتبهم، ثم أسلمونا إلى أعدائنا هكذا، فولى راجعاً.

فلمّا بلغ طرف الزقاق التفت، فلم ير خلفه أحداً، وعبيد الله بن زياد في القصر متحصّن يدبّر في أمر مسلم بن عقيل، فمضى مسلم بن عقيل وحده فرأى امرأة على باب دارها..[1].

١. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

الشيخ المفيد (ت ٤١٣) والفتال (ت ٥٠٨):

فلمّا سمع الناس مقالهم أخذوا يتفرّقون وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف، فيذهب به، فينصرف، فما زالوا يتفرّقون حتّى أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد، فلمّا رأى أنّه قد أمسى وما معه إلّا أولئك النفر، خرج من المسجد متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلّا ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب، فإذا ليس معه إنسان يدلّه فالتفت، فإذا هو لا يحس أحداً، يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزله ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو، فمضى على وجهه متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب حتّى خرج

إلى دور بني جبلة من كندة ..[١].

أبو علي مسكويه: (ت ٤٢١):

فما زال الناس يتفرّقون، حتّى أمسى مسلم بن عقيل، وما معه إلّا ثلاثون رجلاً حين صلّيت المغرب، فصلّى بهم مسلم، فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلّا أولئك، خرج متوجّهاً نحو كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب، فإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا على منزل، ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو فبقى متلدّداً فى أزقّة الكوفة، لا يدرى أين يذهب. فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة[٢].

---

١. الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٠، ٦٧، البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٤٨، ٣٦٣، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٧، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، لواعج الأشجان: ٥٢ ـ ٦٨، مثير الأحزان للجواهري: ٢٠ ـ ٢٨.

٢. تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤٨.

الطبرسي: (ت ٥٤٨):

فلمّا سمع الناس مقالتهم أخذوا يتفرّقون، وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها وزوجها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه، ويقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب الشرّ؟ فيذهب به، فينصرف، فما زالوا يتفرّقون حتّى أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه من أصحابه إلّا ثلاثون رجلاً، فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو باب كندة، فلمّا بلغ الباب معه منهم عشرة، فخرج من الباب، فإذا ليس معه إنسان ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق فمضى على وجهه متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب.

فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة ..[١].

---

١. إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٧ ـ ٢٣٠.

الخوارزمي : (ت ٥٦٨) :

وكانت المرأة تأتي أخاها وأباها أو زوجها أو بنيها ، فتشرّده ، ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي ، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة من أصحابه ، واختلط الظلام ، فدخل مسلم المسجد الأعظم ليصلّي المغرب ، فتفرّق عنه العشرة ، فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه[1] .

ابن شهرآشوب : (ت ٥٨٨) :

فرجع الرؤساء إليها ، فدخلوا القصر ، فقال لهم عبيد الله : أشرفوا على الناس ، فمنّوا أهل الطاعة وخوّفوا أهل المعصية .

فما زال الناس يتفرّقون حتّى أمسى مسلم وما معه إلّا ثلاثون نفساً ، فلمّا صلّى المغرب ، ما رأى أحداً فبقي في أزقّة كندة متحيراً[2] .

---

١ . مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي : ١ / ٢٠٦.

٢ . المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي

ابن الجوزي : (ت ٥٩٧) :

فنادى مسلم أصحابه ، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف ، فمضى بهم إلى القصر ، فأشرف أصحاب عبيد الله على أهاليهم يعدونهم ويقولون : غداً يأتيكم جنود الشام . فتسلّلوا ، فما اختلط الظلام حتّى بقي مسلم وحده[1] .

ابن الأثير : (ت ٦٣٠) :

فلمّا سمع الناس مقالة أشرافهم ، أخذوا يتفرّقون ، حتّى أنّ المرأة تأتي ابنها وأخاها ، وتقول : انصرف ، الناس يكفونك . ويفعل الرجل مثل ذلك ، فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً .

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة ، فلمّا خرج من الباب لم يبق معه

← أشرف : ١٠ / ٣١٧.

١ . المنتظم لابن الجوزي : ٥ / ٣٢٦.

أحد[١].....

ابن نما: (ت ٦٤٥):

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممّن بايعه إلى حرب عبيد الله بعد أن رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيد الله، فتحصّن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل، فتفرّقوا عنه وبقي معه أناس قليل، فدخل المسجد يصلّي وطلع متوجّهاً نحو باب كندة، فإذا هو وحده لا يدري أين يذهب[٢].

ابن الجوزي: (ت ٦٥٤):

وجعلوا يكلّمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي

١. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧١، نفس المهموم للقمّي: ١٠٥.
٢. مثير الأحزان لابن نما: ١٩ ـ ١٦.

وحده[١]...

ابن طاووس: (ت ٦٦٤):

فجعل أصحاب مسلم، يتفرّقون عنه ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم، فلم يبق معه سوى عشرة أنفس، فدخل مسلم المسجد ليصلّي المغرب، فتفرّق العشرة عنه.

فلمّا رأى ذلك خرج وحيداً في دروب الكوفة[٢].

النويري: (ت ٧٣٣):

فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي مسلم بن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً، فلمّا رأى ذلك خرج نحو أبواب كندة، فلمّا وصل إلى الباب

١. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨.
٢. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٥٣.

لم يبق معه أحد[١].

الذهبي: (ت ٧٤٨):

وروي الواقدي والمدائني بإسنادهم: أنّ مسلم بن عقيل بن أبي طالب، خرج في أربعمائة، فاقتتلوا، فكثرهم أصحاب عبيد الله وجاء الليل فهرب مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة، فاستجار بها[٢].

ابن كثير: (ت ٧٧٤):

فتخاذل الناس وقصروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل، حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثم تقالّوا، حتّى بقي في ثلاثمائة، ثم تقالّوا، حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كندة، فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا

١. نهاية الإرب: ٢٠ / ٣٩٧ وما بعدها.
٢. البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ١٥٤ وما بعدها، تاريخ الإسلام للذهبي: ٤ / ١٧١.

عنه، فبقي وحده ليس معه من يدلّه على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده[١].

المقريزي (ت ٨٤٥):

ثم ركب من البصرة ودخل الكوفة وقد بايع مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفاً، فركب بهم وحاصر عبيد الله فلم يثبتوا وتفرّقوا عنه حتّى فرّ، فأخذ بعد خطوب وحروب وقتل[٢].

ابن حجر (ت ٨٥٢) وابن بدران:

فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلّا عدد قليل منهم، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً[٣].

١. البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ١٥٤ وما بعدها.
٢. إمتاع الأسماع للمقريزي: ٥ / ٣٦٣.
٣. الإصابة لابن حجر: ٨ / ٣٣٣، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٦.

طوعة واللقاء في المصادر

مقتل أبي مخنف (المشهور):

قال أبو مخنف: فلمّا سمع مسلم بن عقيل عليه السلام قتل هانئ رضي الله عنه، خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتّى خرج من الكوفة، وأتى الحيرة وجعل يدور فيها، حتّى بلغ إلى دار عالية البنيان، وفيها دهليز كبير، وامرأة جالسة على باب الدهليز، فوقف مسلم ينظر إليها، فقالت له: ما وقوفك يا هذا في دار فيها حرم غيرك؟ فقال: والله ما وقع في قلبي شيء ممّا تقولين، ولكن أنا رجل مظلوم وأريد من يخبيني بقية يومي هذا، فإذا جنّ الليل خرجت في ظلمته، قالت له المرأة: من أنت؟ قال لها: أنا مسلم بن عقيل المغرور المخذول. فعرفته[1]..

١. مقتل أبي مخنف (المشهور): ٣١.

ابن سعد (ت ٢٣٠):

... وجاء الليل فهرب! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها. وعلم بذلك محمد بن الأشعث بن قيس فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم فجيء به[1]..

البلاذري (ت ٢٧٩):

ودفع! إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»، فاستسق ماء، فسقته، ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذبني هؤلاء القوم، وغرّوني، فآويني. فأدخلته منزلها وآوته.

وجاء ابنها فجعل ينكر كثرة دخولها إلى مسلم وخروجها من عنده، فسألها عن قصّتها فأعلمته إجارتها مسلماً، فأتى عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث فأخبره بذلك،

١. الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

وكان ابن زياد، حين تفرّق عن ابن عقيل الناس فتح باب القصر، وخرج إلى المجلس، فجلس فيه، وحضره أهل الكوفة، فجاء عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث إلى أبيه وهو عند ابن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل، فأعلم محمد بن الأشعث ابن زياد بذلك، فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به[1]..

الدينوري (ت ٢٨٢):

فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتّى دخل حيّ كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم، فآوته، وأدخلته بيتها وجاء ابنها، فقال: من هذا في الدار؟ فأعلمته، وأمرته بالكتمان ...

فلمّا أصبح جلس للناس، فدخلوا عليه، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث، فأقعده

١. أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

معه على سريره.

وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وهو حينئذٍ غلام حين راهق، فأخبره بمكان مسلم عنده.

فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث، وهو جالس مع ابن زياد، فأسرّ إليه الخبر.

فقال ابن زياد: ما سار به ابنك؟

قال: أخبرني أنّ مسلم بن عقيل في بعض دورنا.

فقال: انطلق، فأتني به الساعة[1]..

الطبري (ت ٣١٠)، الشجري، المزي، ابن حجر:

فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته، ثم دخلت فمكثت ما شاء الله، ثم خرجت فإذا هو على الباب، قالت: يا عبد الله، إنّ مجلسك مجلس ريبة، فقم، قال: إني أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم، ادخل.

وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلمّا علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره[1]..

الطبري:

فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال، قد

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره، فسلّم عليها ابن عقيل، فردت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماء، فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت الإناء، ثم خرجت فقالت: يا عبد الله ألم تشرب! قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم عادت فقالت مثل ذلك، فسكت.

ثم قالت له: في الله، سبحان الله يا عبد الله! فمرّ إلى أهلك عافاك الله، فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحلّه لك، فقام فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلّي مكافئك به بعد اليوم! فقالت: يا عبد الله، وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغرّوني، قالت: أنت مسلم! قال: نعم قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذى تكون فيه، وفرشت له،

وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله إنّه ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إنّ لك لشأناً، قالت: يا بني، إله عن هذا، قال لها: والله لتخبرني: قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فألحّ عليها، فقالت: يا بني، لا تحدّثن أحداً من الناس بما أخبرك به، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت ـ وزعموا أنّه قد كان شريداً من الناس وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له ـ .....

فلمّا أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يستغش ولا يتهم! ثم أقعده إلى جنبه، وأصبح ابن تلك العجوز، وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمّه ابن

عقيل، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمّه.

قال: فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فسارّه، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟

قال: أخبرني أنّ ابن عقيل في دار من دورنا، فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال: قم فأتني به الساعة[١].

الطبري:

فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إنّ مسلماً في دار فلان[٢]..

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١ وما بعدها.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

ابن أعثم (ت ٣١٤):

فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه، ومضى في بعض أزقّة الكوفة، وقد أثخن بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة، يقال لها: طوعة، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي، فتزوّجها رجل من حضرموت يقال له: أسد بن البطين، فأولدها ولداً يقال له: أسد.

وكانت المرأة واقفة على باب دارها، فسلّم عليها مسلم بن عقيل، فردّت عليه السلام، ثم قالت: ما حاجتك؟ قال: اسقيني شربة من الماء فقد بلغ مني العطش.

قال: فسقته حتّى روى، فجلس على بابها، فقالت: يا عبد الله! ما لك جالس أما شربت؟ فقال: بلى والله، ولكني ما لي بالكوفة منزل، وإني غريب قد خذلني من كنت أثق به! فهل لك في معروف تصطنعيه إليّ فإني رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافئ بالإحسان. فقالت: وكيف ذلك؟ ومن أنت؟ فقال مسلم: خلّي هذا الكلام وأدخليني منزلك عسى الله أن يكافئك غداً بالجنّة.

فقالت: يا عبد الله! خبرني اسمك ولا تكتمني شيئاً من أمرك، فإني أكره أن يدخل منزلي من قبل معرفة خبرك وهذه الفتنة قائمة، وهذا عبيد الله بن زياد بالكوفة.

فقال لها مسلم بن عقيل: إنّك لو عرفتني حقّ المعرفة لأدخلتني دارك، أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب!

فقالت المرأة: قم فادخل رحمك الله!

فأدخلته منزلها وجاءته بالمصباح وبالطعام فأبى أن يأكل.

فلم يكن بأسرع من [أن] جاء ابنها فلمّا أتى وجد أمّه تكثر دخولها وخروجها إلى بيت هناك وهي باكية، فقال لها: يا أماه! إنّ أمرك يريبني لدخولك هذا البيت وخروجك

منه باكية، ما قصّتك؟

فقالت: يا ولداه! إني مخبرتك بشيء لا تفشه لأحد، فقال لها: قولي ما أحببت، فقالت له: يا بني! إنّ مسلم بن عقيل في ذلك البيت، وقد كان من قصّته كذا وكذا.

قال: فسكت الغلام ولم يقل شيئاً، ثم أخذ مضجعه ونام.

فلمّا كان من الغد نادى عبيد الله بن زياد في الناس أن يجتمعوا، ثم خرج من القصر وأتى إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: .... . قال: وأقبل محمد بن الأشعث حتّى دخل على عبيد الله بن زياد، فلمّا رآه قال: مرحباً بمن لا يتّهم في مشورة! ثم أدناه وأقعده إلى جنبه.

وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم بن عقيل في دارها إلى عبد الرحمن بن [محمد بن] الأشعث فخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمّه. فقال له عبد الرحمن: اسكت الآن ولا

تعلم بهذا أحداً من الناس.

قال: ثم أقبل عبد الرحمن بن محمد إلى أبيه فسارّه في أذنه وقال: إنّ مسلماً في دار طوعة، ثم تنحى عنه.

فقال عبيد الله بن زياد: ما الذي قال لك عبد الرحمن؟ فقال: أصلح الله الأمير! البشارة العظمى. فقال: وما ذاك؟ ومثلك من بشر بخير.

فقال: إنّ ابني هذا يخبرني أنّ مسلم بن عقيل في دار طوعة عند مولاة! لنا.

قال: فسرّ بذلك، ثم قال: قم فأت به ولك ما بذلت من الجائزة الحظّ الأوفى[1]...

المسعودي (ت ٣٤٦):

فنزل عن فرسه ومشي متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يتوجّه، حتّى انتهي إلى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقاها

١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٨.

ماء، فسقته، ثم سألته عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقّت له، وآوته.

وجاء ابنها، فعلم بموضعه، فلمّا أصبح غدا إلى محمد بن الأشعث فأعلمه، فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به[1].

ابن حبان (ت ٣٥٤):

فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده، فرأى امرأة على باب دارها، فاستسقاها ماء، وسألها مبيتاً، فأجابته إلى ما سأل وبات عندها، وكان للمرأة ابن فذهب الابن وأعلم عبيد الله بن زياد أنّ مسلماً في دار والدته[2]...

١. مروج الذهب للمسعودي: ٣/ ٥٨.
٢. الثقات: ٢/ ٣٠٨.

أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦):

فخرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلّا ومعه منها عشر، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان فمضى متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني بجيلة من كندة، فمضى حتّى أتى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للأشعث وأعتقها، فتزوج بها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس، وأمه قائمة تنتظر فسلم عليها ابن عقيل، فردّت السلام، فقال لها: اسقيني ماء.

فدخلت فأخرجت إليه، فشرب، ثم أدخلت الإناء، وخرجت وهو جالس في مكانه، فقالت: ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك فسكت، فأعادت عليه ثلاثا ثم قالت: سبحان الله يا عبد الله، قم إلى أهلك ـ عافاك الله ـ فإنّه لا يصلح لك

الجلوس على بابي ولا أحلّه لك، ثم قام، فقال: يا أمة الله، والله ما لي في هذا المصر من أهل، فهل لك في معروف وأجر لعلّي أكافؤك به بعد اليوم. قالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم، وغرّوني وخذلوني، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم. قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء، وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت، فسألها، فقالت: يا بني أله عن هذا، قال: والله لتخبرنني، وألحّ عليها، فقالت: يا بني، لا تخبريه أحدا من الناس، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت.

فلمّا أصبح أذن للناس، فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث فقال:

مرحباً بمن لا يتهم ولا يستغش، وأقعده إلى جنبه.

وأصبح بلال ابن العجوز التي آوت ابن عقيل فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى إلى أبيه وهو جالس، فسارّه، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا، فنخسه ابن زياد بالقضيب في جنبه ثم قال: قم فأتني به الساعة[1].

الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، الفتال، المجلسي، البحراني، الدربندي، القمّي، الأمين:

فمضى على وجهه متلدّداً، في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها فتزوجها أسيد

١. مقاتل الطالبيين: ١٠٤ وما بعدها.

الحضرمي فولدت له بلالاً وكان بلال قد خرج مع الناس فأمّه قائمة تنتظره فسلّم عليها ابن عقيل فردّت عليه فقال لها يا أمة الله اسقيني ماء فسقته وجلس وأدخلت الإناء ثم خرجت فقالت يا عبد الله ألم تشرب قال بلى قالت فاذهب إلى أهلك، فسكت ثم أعادت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت له في الثالثة سبحان الله يا عبد الله قم عافاك الله إلى أهلك فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحلّه لك.

فقام وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف لعلّي مكافؤك بعد اليوم.

فقالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني، قالت: أنت مسلم، قال: نعم، قالت: ادخل، فدخل بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه وفرشت له وعرضت

عليه العشاء فلم يتعشّ.

ولم يكن بأسرع أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال لها: والله إنّه ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه إن لك لشأناً، قالت: يا بني أله عن هذا، قال: والله لتخبرينني، قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فألحّ عليها، فقالت: يا بني لا تخبرن أحداً من الناس بشيء ممّا أخبرك به، قال: نعم، فأخذت عليه الأيمان، فحلف لها فأخبرته فاضطجع وسكت.

فلمّا أصبح جلس مجلسه وأذن للناس، فدخلوا عليه وأقبل محمد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يستغش ولا يتّهم، ثم أقعده إلى جنبه.

وأصبح ابن تلك العجوز فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمّه، فأقبل عبد الرحمن

حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فسارّه فعرف ابن زياد سراره، فقال له ابن زياد بالقضيب في جنبه قم فائتني به الساعة[1].

أبو إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨):

فلمّا علت الضجّة في دار هانئ لأجل قتله وكثر البكاء خرج مسلم بن عقيل وجعل يطلب لنفسه مجيراً ودار في شوارع الكوفة.

فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار، فقالت له المرأة: يا فتى ما وقوفك على هذا الباب وفي الدار حريم ؟

فقال لها: يا أمة الله ما خطر ببالي شيء من

١. الارشاد للمفيد: ٢/ ٥٣ وما بعدها، البحار للمجلسي: ٤٤/ ٣٥٠، العوالم للبحراني: ١٧/ ١٩٩، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٢٣، نفس المهموم للقمّي: ١٠٦، روضة الواعظين للفتال: ١٥٠، أعيان الشيعة للأمين: ١/ ٥٩٢، لواعج الأشجان: ٥٥.

ذلك، وإنما أنا رجل مطلوب وأريد من يجيرني بقية يومي هذا.

فقالت له المرأة من أيّ الناس أنت؟

فقال: من بني هاشم، أنا مسلم بن عقيل، قد غمرني هؤلاء القوم وبايعوني ونقضوا بيعتي.

فقالت: وأنا من بني هاشم، وأحقّ بإجارتك.

ثم إنّها أدخلته الدار وأجلسته في بيت، وعرضت عليه المأكل والمشرب، فلم يتناول غير الماء[1]...

أبو علي مسكويه (ت ٤٢١):

فبقي متلدّداً في أزقّة الكوفة، لا يدري أين يذهب، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة [يقال لها: طوعة] كانت أمّ ولد للأشعث،

١. نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

فزوّجها أسيداً الحضرمي، فولدت له بلالاً، وكان بلال خرج مع الناس، وأمّه قائمة تنتظر، فسلّم مسلم عليها، فردّت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماء، فدخلت، فسقته، فجلس، فقالت: يا عبد الله، اذهب إلى أهلك، فسكت، ثمّ عادت، فسكت.

فقالت: سبحان الله! قم إلى أهلك، فما يصلح الجلوس على بابي، ولا أحلّه لك. فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر منزل، ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف، ولعلّي أكافئك به بعد اليوم.

قالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم، وغرّوني.

قالت: أدخل! ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها. فقالت: يا بنيّ، مكرمة وافتك، وأخذت عليه الأيمان، أن لا يخبر أحدا، فحلف، فأخبرته الخبر، فاضطجع وسكت .....

وأصبح ابن تلك العجوز، وهو بلال بن أسيد، فغدا إلى عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان ابن عقيل عنده، وكان محمد بن الأشعث قد باكر ابن زياد، وهو عنده. فأقبل عبد الرحمان حتّى أتى أباه، فدنا منه، وسارّه.

فقال ابن زياد: ما يقول ابنك؟ فقال: يقول: إنّ ابن عقيل في دار من دورنا، فنخس بالقضيب في جنبه، وقال: قم، وائتني به الساعة[١].

الطبرسي (ت ٥٤٨):

فمضى على وجهه متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فمشى على باب امرأة يقال لها: طوعة، وهي على باب دارها تنتظر ولدها فسلم عليها وقال يا أمة الله اسقيني ماء فسقته وجلس، فقالت: يا عبد الله

١. تجارب الأمم: ٢ / ٤٩.

فاذهب إلى أهلك، فقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر منزل، هل لك في أجر ومعروف ولعلّي أكافيك بعد اليوم، فقالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني، قالت: أنت مسلم؟! قال: نعم، قالت: ادخل، فدخل داراً في بيتها غير الذي تكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ.

فجاء ابنها فرآها تكثر الدخول إلى البيت والخروج منه فسألها عن ذلك، فقالت: يا بني اله عن هذا، قال: والله لتخبريني فأخذت عليه الأيمان أن لا يخبر أحداً، فحلف فأخبرته وكانت هذه المرأة أم ولد للأشعث بن قيس، فاضطجع ابنها وسكت.

وأصبح فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسارّه فعرف ابن زياد سراره،

قال: قم فأتني به الساعة[١]..

ابن الأثير (ت ٦٣٠):

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلمّا خرج [إلى] الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها: طوعة، أمّ ولد كانت للأشعث وأعتقها فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره، فسلّم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته، فجلس، فقالت له: يا عبد الله ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، فقالت له ثلاثاً فلم يبرح.

فقالت: سبحان الله! إنّي لا أحلّ لك الجلوس على بابي. فقال لها: ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر

١. إعلام الورى: ٢٢٧.

ومعروف ولعلّي أكافؤك به بعد اليوم؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني، قالت: ادخل. فأدخلته بيتاً في دارها وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ.

وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت، فقال لها: إنّ لك لشأناً في ذلك البيت، وسألها فلم تخبره، فألحّ عليها فأخبرته واستكتمته وأخذت عليه الأيمان بذلك، فسكت...

ولمّا أصبح بلال ابن تلك العجوز التي آوت مسلم بن عقيل أتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل، فأتى عبد الرحمن أباه، وهو عند ابن زياد، فأسرّ إليه بذلك، فأخبر به محمد ابن زياد، فقال له ابن زياد: قم فأتني به الساعة[1]

١. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١ وما بعدها.

ابن الجوزي (ت ٦٥٤):

وجعلوا يكلّمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها يا أمة الله اسقيني ماءاً فسقته وقالت من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل فدخل، وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث، فعرفه ابنها فانطلق فأخبر ابن الأشعث فأخبر ابن زياد[1]..

ابن كثير (ت ٧٧٤):

فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدلّه على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو

١. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

وحـده يـتردّد في الطـريق لا يـدرى أيـن يـذهب، فأتى بـاباً فـنزل عـنده وطـرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها «طوعة»، كانت أم ولد للأشعث بن قيس، وقد كان لها ابـن من غيره يقال له: بلال بن أسيد، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنتظره.

فقال لها مسـلم بـن عـقيل: اسـقني مـاء فســقته، ثم دخـلت وخـرجت فـوجدته، فـقالت: ألم تـشرب؟ قـال: بـلى! قـالت: فاذهب إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحمله لك، فـقام فقال: يا أمة الله ليس لي في هذا البلد مـنزل ولا عشيرة، فهل إلى أجر ومعروف وفـعل نكافئك به بعد اليوم؟

فقالت: يا عبد الله وما هو؟ قال أنا مسلم بن عقيل، كذبني هـؤلاء القـوم وغـرّونى، فقالت: أنت مسلم؟

قال: نعم! قالت ادخل! فأدخلته بيتاً من

دارها غير البيت الّذي يكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ، فلم يكن بأسرع مـن أن جـاء ابـنها فـرآهـا تكـثر الدخـول والخـروج، فسألهـا عـن شأنهـا فقالت: يـا بـني أله عـن هـذا، فألح عـليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً، فأخبرته خبر مسلم، فاضطجع إلى الصباح ساكتاً لا يتكلّم.

وأمّا عبيد الله بن زياد فإنّه نزل من القصر بمن معه من الأمراء والأشراف! بعد العشـاء الآخرة فصلّى بهم العشاء في المسجد الجامع، ثم خطبهم وطلب مـنهم مسـلم بـن عـقيل وحثّ على طلبه، ومن وجد عنده ولم يعلم به فدمه هدر، ومن جاء به فله ديته، وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهددهم.

فلمّا أصبح ابن تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بـن الأشـعث فأعـلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم، فجاء عبد الرحمن

فسارّ أباه بذلك وهو عند ابن زياد، فقال ابن زياد: ما الّذي سارّك به؟

فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال: قم فأتنى به الساعة[1]..

الطريحي (ت ١٠٨٥):

قال الناقلون: لمّا وصل خبر هانئ إلى مسلم، خرج من الدار [دار هانئ] هارباً حتّى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك بعد ما سألته عن حاله وقصّته، فلمّا أدخلته الدار أكرمته وقدّمت إليه المأكول، فأبى عن ذلك، لما به من الوجل والألم[2]!!

لسان الملك سبهر (ت ١٢٩٧):

نظرت وبحثت وأنا أسطّر هذه الصفحات في كتاب بحار الأنوار، والعوالم، وكتاب زبدة

١. البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ١٥٥.

٢. المنتخب: ٢/ ٤٢٥.

الفكرة، وكتاب اللهوف، وكتب الشيخ المفيد، وكتاب ابن شهرآشوب، وكتاب اعلام الورى، وبحر اللئالي، والنفي، والطبري، وكتاب مروج الذهب، وكتاب الفصول المهمة، وكتاب تذكرة خواص الأمّة، وكتاب شرح الشافية، وكتاب كشف الغمّة، وكتاب اليافعي، وكتاب الطريحي، وكتاب أعثم الكوفي، والمعيني، وأبو مخنف، وكتاب مطالب السؤول، وكتاب عبد الله بن محمد رضا الحسيني المعروف بجلاء العيون، وفي مئات الكتب والمجلدات العربية والفارسية التي ألفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخّل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ولما كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن

إسحاق وابن هشام، رأيت من المـؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار، فهو يقول:

لما تفرّق الناس عن مسلم واختلط الظلام استوى مسلم على فرسه ومضى يخرج مـن الكـوفة، وهـو لا يـعرف الطـريق، فمـضى يـطوف في بـعض الأزقـة فـرآه سـعيد بـن الأحنف فعرفه فقال له: إلى أين يـا سـيّدي ومولاي في مثل هذا الوقت؟

فقال: أريد أن أخرج من هـذا البـلد إلى مأمن، حتّى يجتمع إليّ بعض من بايعني من القوم فينصرونني.

فقال سعيد بن الأحنف: لا أدعك تذهب أبداً، فقد جعلوا المدينة عليك سجناً مقفلاً، وأحـاطوا بك، ومـلاؤا الأزقـة والسكك بالجنود والحرس، فأين ذهبت قبضوا عليك وأسروك.

فقال مسلم: فماذا ترى؟

قال: تعال معي حتّى أدلّك عـلى الطـريق

وأهديك إلى مكان تأمن فيه.

فجاء به حتّى وقف على باب دار محمد بن كثير، فـنادى: يـا محـمد بـن كـثير أسرع واستقبل مسلماً.

فخرج محمد من الدار مـسرعاً واسـتقبل مسلماً استقبالاً مبجّلاً، وحمد الله عـلى مـا أنعم عليه وأكرمه باستضافة مسلم، وأدخله إلى بيته وجعله في مـوضع لا يـدخله أحـد غيره، وهيّأ له ما يلزمه.

وكان أصحاب عبيد الله بن زياد يطوفون في الأزقة والمحلات ويدخلون كـلّ مـوضع ومكان بحثاً عن مسلم بن عـقيل، فكأنهـم أحسّـوا بمـوضعه فأرسـلوا إلى ابـن زيـاد يخـبرونه بـذلك، فـفرح ابـن زيـاد فـرحاً شديداً، وأمر ابنه خالد أن يخرج مـع فـوج من الجنود ويحاصروا دار محمد بـن كـثير، ويهجموا عليه مغافصة وعـلى حـين غـرّة، فحاصروه ولم يكن معه أعوان ولا أنـصار،

فأمسكوا به وبابنه دون قتال ولا جدال، فلا ضربوا سيفاً ولا سفكوا دماً، فأرسلوا بهما إلى ابن زياد، وفتّشوا البيت فلم يجدوا عيناً ولا أثراً، فرجع خالد إلى قصر الإمارة.

فلمّا سمع بذلك سليمان بن صرد الخزاعي والمختار بن أبي عبيدة الثقفي وورقاء بن عازب وجماعة آخرون من أشراف الكوفة تعاهدوا على الخروج غداة غد للهجوم على ابن زياد لانقاذ محمد وابنه، والخروج بعد ذلك خارج الكوفة يتلقون الحسين عليه السلام لينصروه ويقاتلوا معه أعداءه، فتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وأرسلوا إلى قبائلهم ليستعدّوا ويخرجوا غداة الغد لقتال ابن زياد.

فلمّا أصبح الصباح وصل عامر بن الطفيل ومعه عشرة الآف رجل من جند الشام والتحق بابن زياد، ففرح ابن زياد واستقوى بهم، فأرسل إلى محمد بن كثير.

فلمّا حضر عنده سبّه وشتمه، وتكلّم معه كلاماً غليظاً.

فقال محمد: يا ابن زياد! اعرف قدرك، والزم حدّك، ولا تقل ما لا يليق بك، فإني أعرف حسبك ونسبك وأعلم استلحاق معاوية لزياد، وما فعله في ذلك من فتنة وفساد.

فبينا كان محمد يتكلّم ارتفعت أصوات طبول الحرب تصمّ الآذان، وتخرق الصماخ، وإذا بأربعين ألف رجل ـ أو ما يقرب من ذلك ـ قد حاصروا قصر الإمارة، واصطفوا حوله صفوفاً.

فاشتدّ غضب ابن زياد وقال: يا بن كثير أقسم بيزيد أن ليس على كلامي مزيد، لتأتيني بمسلم أو لأضربن عنقك.

فقال له: أنت أحقر من أن تمسّ شعرة مني.

فسكت ابن زياد، وأطرق برأسه إلى

الأرض، وكتم غضبه، وفكر في عواقب فعله، وإن كانت تلك الكلمات ثقيلة عليه، وهو لا يطيق سماعها.

ثم رفع رأسه وقال: يا بن كثير! أيّهما أحبّ إليك أهلك وعشيرتك أم مسلم بن عقيل؟

فقال: يا بن زياد إنّ الله حافظ ابن عقيل وناصره ومعينه، وأنا لي ثلاثون ألف سيف متعطّشة للدماء تحيط الآن بقصر الإمارة.

فغضب ابن زياد ولم يعد يحتمل الصبر عليه، فأخذ دواة كانت أمامه فرمى بها محمد، فأصابته في جبهته فشجّته، وسال الدم على وجهه.

فوثب محمد إلى سيف، فأخذه وهجم على ابن زياد، فأحاط به أشراف! الكوفة ومنعوه من الوصول إليه.

فلمّا رأى معقل! ذلك، وكان من قبل قد جرحه هاني كما ذكرنا، حمل على محمد

فوثب عليه محمد كالليث الغضبان وضربه بسيفه فقطّه نصفين.

فلمّا رأى ابن زياد إقدام محمد وشجاعته تنحّى جانباً ونادى بغلمانه: اقتلوه ولا تبقوه.

فأحاطوا به من كلّ جانب وتكاثروا عليه ومحمد يقاتلهم يميناً وشمالاً، فقتل منهم اثنين، ثم إنّه عثر بوتد، فسقط إلى الأرض، فانتهزوها فرصة، فحملوا عليه وقتلوه.

أمّا ابن محمد فقد سلّ سيفاً وقاتل وهو يريد الوصول إلى باب القصر، فقاتل قتال الأبطال، فقتل عشرين حتّى وصل إلى باب القصر، فطعنه غلام في ظهره بالرمح، فسقط شهيداً.

وكان جيش الشام مشغولاً بقتال الكوفيين على الباب يتبادلون معهم الضرب والطعان بالسيوف والسنان، وهم يتعجّبون ويتأهّبون لصبر الكوفيين وجلدهم.

فقال ابن زياد: إنّما يـقاتل أهـل الكـوفة لمكان محمد بن كثير وابنه فاقطعوا رأسـيهما وارموا بها إلى النـاس ليرونهـم، فـيفتّ في عضد المقاتلين، ويخـمد حمـاسهم، فـقطعوا الرؤوس ورموا بها من أعـلى الشرف بـين الناس، فعلموا أنّ محمداً وابنه قد قتلا.

ولكنّهم استمرّوا في القـتال حـتّى انـتهى النهار، وهبط عليهم الظلام، فانصرف كـلّ واحد إلى أهـله، ولم يـبق مـنهم ولا رجـل واحد في الميدان.

فلمّا سمع مسلم بن عقيل بالخبر خرج من مكمنه في دار محمد بن كثير، وهو لا يعلم إلى أين يذهب! وكان ابن زياد على وجل مـن أهل الكـوفة وانـقلابهم عـليه! وفي نـفس الوقت كان جاداً في البحث عن مسـلم بـن عقيل غاية الجدّ، ولهذا فرق جنده وهم إثنا عـشر ألفاً في شـوارع الكـوفة وأزقّـتها ومناطقها، فلم يترك محلّة إلاّ وجـعل فـيها

جماعة من عسكره، سيما في الليل، فأخـذوا كلّ المعابر والسبل.

فلمّا خرج مسلم لقته جماعة من الحـراس فسألوه: من أنت؟ وإلى أين تريد؟

فقال: أنا رجل من بـني فـزارة!!! أريـد الرجوع إلى قومي!!

فقالوا له: ارجـع فـليس هـذا طـريقك، فرجع مسلم ومشى في طـريق آخـر حـتّى وصل إلى دار البيع، وكان خالد بن عبيد الله بن زياد في اثني عشر ألفاً حراساً على تلك المحلّة، فرجع من هناك وأخذ يميناً وشمالاً في السكك والأزقة حتّى وصـل إلى الكـناسة، وكان هناك خادم الشامي في ألفي رجل، فمرّ مسلم بشجاعة وإقدام من هناك وعـبر إلى سـوق الحـداديـن، فـرآه رجـل يـقال له: الحـارث، فـقال في نـفسه: لا يكـون هـذا الفارس المتعجّل! الذي مرّ من هنا إلاّ مسلم بن عقيل، وكان الوقت يقارب الفجر، فجاء

راكضاً مسرعاً إلى قصر الإمارة وقال لنعمان الحاجب: رأيت مسلماً وهو يدخل سوق الحدادين ويتّجه نحو باب البصرة، فركب نعمان في خمسين فارساً وتبعوه.

فلمّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنّهم في طلبه، فنزل عن ظهر جواده وضربه، فانطلق الجواد مسرعاً، ودخل مسلم في شارع آخر، فأتبع الفرسان الجواد حتّى لحقوه في محلّة الحلاجين، فوجدوه دون فارس، فأخذوه ورجعوا به إلى ابن زياد، فأخبروه بالخبر.

فأمر ابن زياد أن يشدّدوا الحراسة، ويأخذوا الطرقات، وينصبوا الكمائن ويشدّدوا على المخارج والمداخل، وأمر مناديه فنادى في الكوفة: من دلّنا على مسلم أو جاءنا به فله من مال الدنيا ما يغنيه، ويكون من أهل الزلفى والقربى عند الأمير.

فطمع بذلك المتهافتين على الذهب

والفضّة، وخرجوا في طلب مسلم لا يفترون ليلاً ونهاراً.

أمّا مسلم، فبعد أن أفلت من نعمان الحاجب ومن معه من الفرسان، جعل يطوف في الأزقة لا يدري إلى أين يذهب، وقد أثّر فيه الجوع والعطش، حتّى وجد نفسه في زقاق مسدود، فجعل يذهب يميناً وشمالاً، وهو في حيرة من أمره! إذ رأى مسجداً خراباً، فدخله وجلس في زاوية منه حتّى غربت الشمس، وهبط الظلام فلفع الكون بالسواد، فخرج من المسجد، وجعل يمرّ من زقاق إلى زقاق حتّى عبر على دور بني جبلة، وهم جماعة من كندة، فالتفت فرأى بنياناً منيفاً عالياً، فجلس في فنائه يستريح ساعة، وكانت الدار لامرأة يقال لها «طوعة»، وهي أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها وتزوّجها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج في

حاجة له، فتأخّر فقلقت أمّه له، فوقفت على الباب تنتظره.

فلمّا رآها مسلم سلّم عليها، فردّت عليه السلام، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماء، فسقته وجلس ودخلت ثم خرجت، فقالت: يا عبد الله ألم تشرب؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم أعادت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت في الثالثة: سبحان الله يا عبد الله، قم عافاك الله إلى أهلك، فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحلّه لك، فقام وقال: يا أمة الله ما لي في المصر أهل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف، ولعلّي مكافيك بعد هذا اليوم، قالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم، قالت: ادخل.

فدخل إلى بيت دارها غير البيت الذي

تكون فيه، وفرشت له وعرضت عليه العشاء، فلم يتعشّ.

ولم يكن بأسرع من من جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال لها: والله إنّه ليريبني كثرة دخولك إلى هذا البت وخروجك منه منذ الليلة، إنّ لك لشأناً!

قالت له: يا بني إله عن هذا، قال: والله لتخبريني، قالت له: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء.

فألحّ عليها، فقالت: يا بني لا تخبرن أحداً من الناسس بشيء ممّا أخبرك به، قال: نعم، فأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته فاضطجع وسكت[1]....

---

١. ناسخ التواريخ/حياة الإمام الحسين عليه السلام ترجمة السيّد علي أشرف: ١/٢٨٤ وما بعدها.

الفهرست

بين المسجد الأعظم ودار طوعة!

المدخل

المقدّمة

خبر الساعة الأخيرة

فرضيات لاستكشاف الموقف الأوّل

الاحتمالات التي يمكن أن تعالج الموقف

الموقف الثاني:
موقف الغوغاء والخونة

الموقف الثالث:
موقف ابن زياد وأعوانه

الموقف الرابع:
مـوقـف المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

مشاهد لتصوير موقف المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

طوعة واللقاء

مواد البحث